شبكة الألوكة
www.alukah.net

المكتبة الأزهرية

مخطوطة

الإنصاف بذكر أسباب الخلاف

المؤلف

عبدالله بن محمد (ابن السيد البطليوسي)

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كامل وسطه ٢٣٠ عاد
حسن خطاب
١ ك
١٢٧٤
٢٢١٧٨
١ مجلد

كِتَابُ الْإِنْصَافِ

بذكر أسباب الخلاف

تأليف أبي محمد عبد الله ابن

السيد محمد البَطَلْيَوْسِي

رحمه الله

بالرحمة

والرضوان وأسكنه أعلا فراديس الجنان إنه رحيم رحمن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله مسبغ النعم ومسوغ القسم والمنفرد بالقدم وبارئ النسم
وموجده بعد العدم وباعث العظام الهامدة والرمم والمخالف بين الهيئات
والشيم حكمته تاهت في فهمها عقول ذوي الحكم خلق الاجساد من اضداد
متنافرة ابتدعها بقدرته وألف تقابضها بحكمته حتى ابرزه للعيان
متغايرة الصور والألوان مختلفة الاشكال مختزعة على غير مثال وخالف
بين الآراء والاعتقادات كما خالف بين الصور والهيئات وأخبرنا بها في
ذلك من واضح الدلالات فقال عز من قائل ومن آياته خلق السموات والأرض
واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين وقال جل جلاله
ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وبين لنا انه قدير على
ما اجرى العادة به فقال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين
وبنهانا اللطف تنبيه على ما في هذا الخلاف الموجود في البشر المركوز في الفطر
من الحكمة البالغة وانه جعله احدى الدلائل على صحة البعث الذي انكره من
الجد في اسمائه وكفر بسوابغ نعمائه فقال وقوله الحق ووعده الصدق
وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم
كانوا كاذبين وهذه الآية احد ما تضمنه القرآن العزيز من الدلالة
البرهانية على صحة البعث ووجه البرهان المنفك من هذه الآية التي لا يقدرها
حق قدرها الا العالمون ولا يتبينه لغامض سرها الا المستبصرون
إذ اختلاف المختلفين في الحق لا يوجب اختلافا في الحق في نفسه وانما
تختلف الطرق الموصلة اليه والقياسات المركبة عليه والحق واحد في نفسه
فلما ثبت ان ههنا حقيقة موجودة لا محالة وكان لا سبيل لنا في حياتنا هذه
الى الوقوف عليها وقوفا يوجب لنا الايتلاف ويرفع عنا الاختلاف اذ كان

الاختلاف

تمة بعد العدم اي العدم في الخارج
والا فهو معلوم لله قبل ذلك
وبعد كونه معلوما لله قبل ذلك
وفي ايراد الضمير من الوجود العلمي
خلاف لبعض

الاختلاف مركوزا في فطرتنا مطبوعا في خلقتنا وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله
الا بارتفاع هذه الخلقة ونقلنا الحجة غير هذه الجبلة صح ضرورة ان لنا
حياة اخرى غير هذه فيها يرتفع الخلاف والعناد وتزول من صدورنا
الضغائن الكامنة والاحقاد وهي هذه الحالة التي وعدنا الله تعالى بالمصير
اليها وقال ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين ولا بد
من كون ذلك بالاضطرار اذ كان وجود الخلاف يقتضي وجود الائتلاف
لأنه ضرب ونوع من المضاف وكان لا بد من حقيقة وانما نقل ذلك صرفنا
الى مذهب السوفسطائية في نفي الحقائق وقد صار الخلاف الموجود في العالم
كما ترى اوضح الدلائل على كون البعث الذي ينكره المنكرون وينازع فيه الملحدون
الكافرون فسبحان من اودع كتابه العزيز تصريحا وتلويحا كل لطيفة لم قدره
حق قدره ووفق لفهم غوامض سره وصلى الله على من هدانا به من الضلالة
وعلمنا بعد الجهالة وإياه نسئل ان يوفقنا لاقتفاء آثاره حتى يحلنا دار الكرامة
في جواره ولي تأملت الناس قد اطنبوا في التأليف واملوا الناظرين
بانواع التصنيف في اساليب معروفه واشياء ما لوفه يغني بعضها
عن بعض صرفت خاطري الى وضع كتاب في اسباب الخلاف الواقع بين الامة
قليل النظير نافع للجمهور عظيم المترع غريب المقطع يشبه المخترع وان كان
غير مخترع ينتمي الى الدين بادئ لنسب ويتعلق من اللسان بأقوى سبب
ويخبر من تأمل غرضه ومقصده بأن الطريقة الفقيهة مفتقرة الى علم الادب
مؤسسة على اصول كلام العرب وان مثلها ومثله قول ابي الاسود الدؤلي
فان لا يكنها او تكنه فانه اخوها غذته امه بلبانها
وليس غرضي في هذا الكتاب ان اتكلم في الاسباب التي اوجبت الخلاف الاعظم
بين من سلف وخلف من الامم وانما غرضي ان اذكر الاسباب التي اوجبت
الخلاف بين اهل ملتنا الحنيفية التي جعلنا الله تعالى من اهلها وهدانا

تتمة الاسباب الموجبة للخلاف بين الامة

تعليل الاسباب

تعلها الفقهية اه

بلغ مقابلة

الألوكة
www.alukah.net

الى واضح سبلها حتى صار من فقهائهم المالكي والشافعي والحنفي والاوزاعي
ومن ذوي مقالاتهم الجبري والقدري والمشبه والجهمي ومن شيعهم
الزيدي والرافضي والسباعي والغرابي والمخمر والمحمدي وغيرهم من
هؤلاء من الفرق الثلاثة والسبعين التي نص عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا غرضي ايضا ان احصر اصناف المذاهب والآراء وانا قاض ذوي البدع
المضلة والاهواء لان هذا الفن من العلم قد سبق اليه وبثه في مواقع
كثيرة عليه وانما غرضي ان انبه على المواضع التي منها نشأ الخلاف بين العلماء
حتى يتأتى في المذاهب والآراء وانا استرشد الله الى سبيل الحق واستهديه
واسأله العون على ما حاولته وانويه وارغب اليه في ان يعصمني من الزلل
فيما اقول واحكيه انه ولي الطول ومسديه لا رب سواه ولا معبود حاشاه

ذكر الاسباب الموجبة للخلاف وكمها

فاقول وبالله اعتصم واليه افوض في جميع امري واسلم ان الخلاف عرض
لاهل ملتنا من ثمانية اوجه كل ضرب من الخلاف مولد عنها ومتفرع منها
احدها اشتراك الالفاظ والمعاني الثاني الحقيقة والمجاز الثالث
الافراد والتركيب الرابع الخصوص والعموم الخامس الرواية والنقل
السادس الاجتهاد فيما لا نص فيه السابع الناسخ والمنسوخ الثامن
الاباحة والتوسيع ونحن نذكر من كل نوع من هذه الانواع امثلة
ننبه قارئ كتابنا هذا على بقيتها اذ كان استيفاء جميع ذلك من المتعذر
على من حاوله وبالله التوفيق

الباب الاول في الخلاف العارض من

جهة اشتراك الالفاظ واحتمالها للمتناولات الكثيرة هذا الباب ينقسم ثلاثة
اقسام احدها اشتراك في موضع اللفظة المفردة والثاني اشتراك في احوالها
التي تعرض لها من اعراب وغيره والثالث اشتراك يوجبه تركيب
الالفاظ وبناء بعضها على بعض فاما الاشتراك العارض في موضع

اللفظة

اللفظة المفردة فنوعان اشتراك جمع معاني مختلفة متضادة واشتراك
جمع معاني مختلفة غير متضادة الاول كالقرء ذهب الحجازيون من الفقها
الى انه الطهر والعراقيون الى انه الحيض ولكل واحد من القولين شاهد
من الحديث ومن اللغة اما حجة الحجازيين من الحديث فما روي عن عمر
وعثمان وعائشة وزيد بن ثابت رضي الله عنهم انهم قالوا الاقراء الاطهار
واما حجتهم من اللغة فقول الاعشى ففي كل عام انت جاشم غزوة
تشد لاقصاها عزيم عزائكا مورثة مالا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء
نسائكا واما حجة العراقيين من الحديث فقوله صلى الله عليه وسلم
للمستحاضة اقعدي عن الصلوة ايام اقرائك واما حجتهم من اللغة فقول الراجز
يا رب ذي ظنر علي فارضي له قروء كقرء الحائض وقد حكى ابن السكيت
وغيره من اللغويين ان العرب تقول اقرأت المرأة اذا طهرت واقرأت اذا
حاضت وذلك ان القرء في كلام العرب معناه الوقت فلذلك صلح للطهر
والحيض معا ويدل على ذلك قول الشاعر

شنئت العقر عقر بني سليل اذا هبت لقارتها الرياح

وقد احتج بعض الحجازيين لقولهم بقوله تعالى ثلاثة قروء فانث الهاء في
ثلاثة فدل ذلك على انه اراد الاطهار ولو اراد الحيض لقال ثلاث قروء لان
الحيضة مؤنثة وهذا الاحتجاج فيه عند اهل النظر وانما الحجة ما قدمناه
وانما لم يكن فيه حجة لانه لا ينكر ان يكون القرء لفظا مذكرا يعني به المؤنث
ويكون تذكير ثلاثة حملا على اللفظ دون المعنى كما تقول العرب جاءني
ثلاثة اشخاص وهم يعنون نساء والعرب تحمل الكلام تارة على اللفظ وتارة
على المعنى الا ترى الى قراءة القراء بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت
بكسر الكاف والتاء وفتحهما ووقوع الاسماء على المسميات في كلام العرب
ينقسم اربعة اقسام احدها ان يكون المسمى مذكرا واسمه مذكر كرجل

الألوكة
www.alukah.net

ليسمى زيد او عمرو والآخر ان يكون المسمى مونثا واسمه مونث كامرأة تسمى فاطمة والثالث ان يكون المسمى مونثا واسمه مذكرا كامرأة تسمى بجعفر وزيد قال الراجز

يا جعفر يا جعفر يا جعفر ٭ اذا ك دحداحا فانت اقصر
ارا ك ذا شيب وانت اكبر ٭ عمرك سرمال عليك احمر
ومقنع من لحرير اصفر ٭ وتحت ذاك سوءة لو تذكر

والتابع مذكرا واسمه مونث كرجل يسمى طلحة او حمزة وهذا لا يخص الاسماء الاعلام دون الاجناس والانواع وهكذا مذهب العرب في الصفة والموصوف وربما كان الموصوف مطابقا لصيغته في التذكير والتانيث كقولهم هذا رجل فاتك وهذه امراة فاتكة وربما كان مخالفا لصيغته في التذكير والتانيث كقولهم رجل ربعة وعلامة ونساب به وفي المونث امراة حائض وعاشق وقال ذو الرمة

ولو ان لقمان الحكيم تعرضت ٭ لعينيه حيا حائضا لكادبرق

وقد بين انه لاحجة في دخول الهاء في ثلاثة ومن الالفاظ المشتركة الواقعة على الشيء وضده قوله سبحانه وتعالى فاصبحت كالصريم قال بعض المفسرين معناه كالنهار المضيء بيضاء لاشيء فيها وقال اخرون كالليل المظلم سوداء لاشيء فيها وكلا القولين موجود في اللغة اما من قال

٭ كالنهار المضيء فحجته قول زهير ٭

بكرت اليه غدوة فوجدته ٭ قعودا لديه بالصريم عواذله

يعني الصباح واما من قال كالليل فحجته قول الراجز

لهوي هوى اتجم الصريم ٭ وقال اخر

كانا والرجال على صوار ٭ بوصل حراق اسلمه الصريم

قال بعضهم معناه الحسر عند الرمل وقال اخرون معناه خرج وانجلى عنه كما قال النابغة

٭ حتى غدا في بياض الصبح منصلتا ٭ يعزو الاماعز من لساد والاكما ٭

واما

الضريم من الاضداد

الألوكة
www.alukah.net

واما سمي كل واحد منهما صريما لانه ينصرم اذا وافى الآخر والمعنى ايضا يشهد لكل واحد من القولين لان العرب تقول كل بياض الارض وسوادها يعنون بالبياض ما لا عمارة فيه وبالسواد ما فيه العمارة وهذا لا يحتج به لمن ذهب الى معنى البياض ومن ذهب الى السواد وانما اراد انها احترقت برعي ضمن او نار كقوله فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت ومن هذا النوع قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه طوبى لمن مات في النأة فانه يحتمل ان يريد اول الاسلام عند قوة البصائر وقبل وقوع الخلاف ويحتمل ان يريد اخر الاسلام اذا ضعفت البصائر وكثرت البدع والخلاف ويدل على صحة المعنيين جميعا قوله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء والنأة عند العرب الضعفة لا يخص الصغر دون الكبر قال امرؤ القيس في ذلك

٭ لعمرك ما سعد بحلة ايم ٭ ولا ناء يوم الحفاظ ولا حصر ٭

وتاوله ابو عبيدة على انه اراد اول الاسلام وليس في لفظ الحديث ما يقتضي ذلك على ان بعض الرواة قد روى في النأة الاولى فان صح هذا فالقول ما قال ابو عبيدة ومن هذا النوع قوله صلى الله عليه وسلم قصوا الشوارب واعفوا اللحى قال قوم معناه وفروا واكثروا وقال اخرون قصروا وانقصوا وكلا القولين له شاهد من اللغة اما من ذهب الى التكثير فحجته قوله تعالى حتى عفوا

٭ ولكنا نعض السيف منها ٭ باسوق عافيات اللحم كوم ٭

واما من ذهب الى الحذف والتقصير فحجته قول زهير

٭ تحمل اهلها منها فبانوا ٭ على اثار من ذهب العفاء ٭

هذه جملة من اللفظ المشترك الواقع على معان مختلفة متضادة واما اللفظ المشترك الواقع على معان مختلفة غير متضادة فنحو قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا

الى اخر الآية ذهب قوم الى ان او ههنا للتخيير كالتي في قولك
جالس زيدا او عمرا فقالوا السلطان مخير في هذه العقوبات يفعل بقاطع
السبيل أيها شاء وهو قول الحسن البصري وعطاء وبه قال مالك رحمه الله
وذهب اخرون الى ان او ههنا للتفصيل والتبعيض فمن حارب وقتل
واخذ المال صلب ومن قتل ولم يأخذ المال قتل ومن اخذ المال ولم
يقتل قطعت يده وهو قول ابي مجلز وحجاج بن ارطاة عن ابن عباس وبه
قال الشافعي وابو حنيفة واحتجوا بحديث رواه عثمان وعائشة عن النبي
صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث زنا بعد
احصان وكفر بعد ايمان وقتل نفس بغير نفس واحتجوا من اللغة بان العرب
تستعمل او للافراد والتفصيل فيقولون اجتمع القوم فقالوا حاربوا او صالحوا
اي قال بعضهم كذا او بعضهم كذا وعنه قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى
تهتدوا وليس في الفرق فرقة تخير بين اليهودية والنصرانية وانما المعنى
ان بعضهم وهم اليهود قالوا كونوا هودا وبعضهم وهم النصارى قالوا كونوا
نصارى هذا تفصيل لا شك فيه والعرب تؤلف الكلام من المختلفين
وترضى بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد كل مخبر عنه ما يليق به
قال الله سبحانه وتعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله ونحو قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ۝ لدى وكرها العناب والحشف البالي ۝

ولو جاء هذا الكلام مفصلا لقال كأن قلوب الطير العناب رطبا ويابسا
الحشف البالي وكذلك الاية لو جاءت مفصلة لقال جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه والنهار لتبتغوا من فضله واختلفوا في النفي من الارض ما هو
فقال الحارثيون ينفى من موضع الموضع وقال العراقيون يسجن ويحبس
والعرب تستعمل النفي بمعنى السجن قال بعض المسجونين

٥

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها ۝ فلسنا من الاموات فيها ولا الاحيا ۝
اذا جاءنا السحان يوما لحاجة ۝ عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ۝

ومن هذا النوع قوله صلى الله عليه وسلم اسرعكن لحاقا بي اطولكن
يدا قال لنسائه فحسبنه من الطول الذي هو ضد القصر فطفقت عائشة
اهتم المرادة فلما ماتت زينب قبلها علمن حينئذ انه من الطول الذي
هو الفضل والكرم وكانت زينب اكثرهن صدقة والعرب تقول
فلان اطول يدا من فلان اذا كان اكرم منه واكثر بذلا قال الشاعر

ولم ير اكثر الفتيان مالا ۝ ولكن كان اطولهم ذراعا ۝

ويروى ارحبهم ومن هذا قوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل
قال قوم معناه من سبب ذلك كما يقال فعلت ذلك من اجلك
وقال قوم معناه من جناية ذلك وجر بريرة وقال اجل عليهم شرا يأجله
واحتجوا بقول خداش بن جبير وهو من ابناء صالح ذات بينهم فاحبروا في عاجل الحبر
وهذا النوع كثير جدا واما الاشتراك العارض من قبل اختلاف
احوال الكلمة دون موضوع لفظها فمثل قوله تعالى ولا يضار
كاتب ولا شهيد قال قوم مضارة الكاتب ان يكتب ما لم يمل عليه ومضارة
الشهيد ان يشهد بخلاف الشهادة وقال قوم مضارتهما ان يمنعا
من اشغالهما ويكلفا الكتابة والشهادة في وقت يشق ذلك عليهما
وانما اوجب هذا الخلاف ان قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل ان يكون
تقديره ولا يضار بفتح الراء فيلزم على هذا ان يكون الكاتب والشهيد مفعولا
بهما لم يسم فاعلهما وهكذا كان يقرأ ابن مسعود باظهار التضعيف
وفتح الراء ويحتمل ان يكون تقديره ولا يضار بكسر الراء فيلزم على هذا ان يكون
الكاتب والشهيد فاعلين وهكذا كان يقرأ ابن عمر باظهار
التضعيف وكسر الراء ومثل هذا قوله تعالى لا تضار والدة بولدها

وأما الاشتراك العارض من قبل تركيب الكلام وبناء بعض الالفاظ على بعض فان منه ما يدل على معان مختلفة متضادة من النوع الاول قوله تعالى وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون ان تنكحوهن قال قوم معناه وترغبون في نكاحهن لمالهن وقال آخرون انما اراد وترغبون عن نكاحهن لدمامتهن وقلة مالهن واما اوجب هذا الاختلاف ان العرب تقول رغبت عن الشيء اذا زهدت فيه ورغبت في الشيء اذا حرصت عليه فلما ركب الكلام تركيبا سقط منه حرف الجر احتمل التاويلين المتضادين صار كقول القائل في ذلك

○ ويرغب ان يثنى المعالي خالد ○ ويرغب ان ترضى صنيع الأ لائم ○

فهذا البيت يحتمل ان يكون مدحا وان يكون ذما فان جعلت الرغبة الاولى مقدرة بفي والثانية مقدرة بعن كان مدحا وان جعلت الرغبة الاولى مقدرة بعن والثانية مقدرة بفي كان ذما ومن هذا النوع قول علي رضي الله عنه ايها الناس ترعمون اني قتلت عثمان الا وان الله قتله وانا معه اراد علي رضي الله عنه ان الله قتله وسيقتلني معه فعطف انا على الهاء من قتله وجعل الهاء من معه عائدة على عثمان وتاويله الخوارج على انه عطف انا على الضمير الفاعل في قتله او على موضع المنصوب ان كما تقول ان زيدا قائم وعمرو فترفع عمرا عطفا على موضع زيد وجعلوا الضمير في قوله معه عائدا على الله سبحانه وتعالى فاوجبوا عليه من هذا اللفظ انه شارك في قتل عثمان رضي الله عنه ولذلك قال كعب بن جعيل

○ اذا سيل عند حد شبهة ○ وعمي الجواب عن السائلينا ○
○ فليس براض ولا ساخط ○ ولا في النهاة ولا الآمرينا ○
○ ولا هو ساء ولا سره ○ ولا بد من بعض ذا ان يكونا ○

ونظير هذا الضمير في احتماله التاويلين قول خالد بن عبد الله

القسري على المنبر ان امير المؤمنين كتب الي ان العن عليا فالعنوه لعنه الله فاوهم ان الضمير راجع الى علي رضي الله عنه ولعن لا عنه وانما هو عائد على الامر له بلعنه ولذلك انكر على خالد ما جاء به من اللفظ المشترك فكان بعد ذلك يصرح بلعنه بالفاظ لا اشتراك فيها وهذا النوع من الضمائر كثير في الكلام ومنه قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يجوز ان يكون الضمير الفاعل الذي في يرفعه عائدا على الكلم والضمير المفعول عائدا على العمل فيكون معناه ان الكلم الطيب وهو التوحيد يرفع العمل الصالح لانه لا يصح عمل الا مع الايمان ويجوز ان يكون الضمير الفاعل عائدا على العمل والضمير المفعول عائدا على الكلم فيكون معناه ان العمل الصالح هو الذي يرفع الكلم الطيب وكلاهما صحيح لان الايمان قول وعقد وعمل لا يصح بعضها الا ببعض ولو جعلت في هذه الاية اسم الفاعل مكان الفعل لاختلف اللفظان لان اسم الفاعل يستتر فيه ضمير ما هو له ويظهر ضمير ما ليس له فكان يلزم اذا جعلت الرفع للكلم ان تقول والعمل الصالح رافعه هو اذا جعلت الرفع للعمل قلت والعمل الصالح رافعه فيستتر الضمير الفاعل ولا يظهر كما تقول هند زيد ضاربته هي اذا جعلت الضرب لهند لانه جرى خبرا على غير من هو له واذا جعلت الضرب لزيد قلت هند زيد ضاربها فلم تحتج الى اظهار الضمير لجريانه خبرا على من هو له ومن هذا النوع قول زهير

○ نظرت اليه نظرة فرأيته ○ على كل حال مرة وهو حامله ○

يجوز ان يكون الحامل هو الغلام والمحمول هو الفرس ويجوز ان يكون الامر بالعكس ومن هذا النوع من الضمائر قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته ذهب قوم الى ان الهاء عائدة على الله تعالى وذهب قوم الى ان الهاء عائدة على آدم وسنتكلم على هذا الحديث في موضعه

www.alukah.net

من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وبيت الضمائر المشتركة قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

ظننتم بأن يخفى الذي قد صنعتم ۝ وفينا نبي عنده الوحي واضعه ۝

ذهب سيبويه الى ان الهاء من واضعه ترجع الى الوحي وذهب غيره الى انها راجعة الى الله تعالى وكلا القولين صحيح المعنى فيكون معنى وضع النبي عليه الصلوة والسلام للوحي انه وضعه للناس بأمر الله تعالى فسن السنن وفرض الفرائض ورتب الاشياء مراتبها ويكون معناه على قول غيره ان الوحي يضع عنده ما تصنعون اي يبين له ما تزورونه وتديرونه ويظهر له ما تخفونه من مكركم وكيدكم وتزيفونه فتقرير الكلام على هذا وفينا نبي الوحي واضع ما صنعتم عنده وهذا القول عندي اظهر من قول سيبويه ويجوز ان يكون من الوضع الذي هو الاسقاط والاطراح فيكون معناه ان الوحي يسقط الذي تصنعونه ويبطله ومن هذا النوع المشترك التركيب قوله تعالى حرمت عليكم امهاتكم الآية فان هذه الآية في بعضها خلاف وفي بعضها وفاق فمن قوله حرمت عليكم الى قوله واخواتكم من الرضاعة تحريمهم منهم متفق عليه وقوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم تحريم غير مبهم ووقع قوله تعالى وامهات نسائكم متوسطا بين التحريمين فجعل قوم امهات النساء من التحريم المبهم وجعلها اخوات من التحريم غير المبهم فقالوا اذا تزوج المرأة ولم يدخل بها لم تحرم عليه امها وانما وجب هذا الخلاف انه تبارك وتعالى اعاد في هذه الآية ذكر النساء مرتين ثم قال على اثر ذلك اللاتي دخلتم بهن فمن جعل امهات النساء من التحريم المبهم ذهب الى ان اللاتي صفة للنساء المتصلات بالربائب خاصة دون النساء المتصلات بالأمهات ومن جعلهن من التحريم غير المبهم ذهب الى ان اللاتي صفة للنساء المذكورات في الموضعين معا فصار اختلاف

لعله وتريدونه

الفقهاء

الفقهاء في هذه الآية مبنيا على اختلاف النحويين في جمع الصفة والموصوف وذلك ان هذا الباب منه ما قد اجمع النحويون على جوازه ومنه ما قد اجمعوا على منعه ومنه ما اختلفوا فيه فالذي اتفقوا عليه انه جائز ان يتفق الموصوفان في الاعراب والعامل معا كقولك مررت بزيد واخيك العاقلين والذي اتفقوا على منعه ان يختلف الاعرابان والعاملان معا كقولك مررت بزيد وهذا بوك لا يجيز وان يقال العاقلان ولا العاقلين على الصفة لكن على القطع والنصب باضمار اعني او الرفع باضمار مبتدا كانه قال هما العاقلان والذي اختلفوا في جوازه ان يتفق الاعرابان ويختلف العاملان كقولك مررت بغلام زيد ونزلت على عمرو العاقلين ۝ فقوم يجيزون ان يجعلوا العاقلين صفة لزيد وعمرو وقوم يمنعون ذلك ومذهب من منع ذلك اقيس لان زيدا يجر باضافة الغلام اليه وعمرا يجر بعلى فاذا جعلت العاقلين صفة لهما اعملت عاملين مختلفين في اسم واحد وذلك لا يجوز وهو جائز على قياس قول ابي الحسن الاخفش لان العامل في الموصوف لا يعمل عنده في صفته وانما تخفض الصفة عنده او ترفع او تنصب بالاتباع فلما كانت النساء الاول من قوله وامهات نسائكم العامل فيهن الاضافة والنساء الاخر العامل فيهن من اختلف العاملان فوجب ان لا يكون اللاتي دخلتم بهن صفة لهما معا على ما قلناه ولكن من اجازه من الفقهاء يمكنه ان يجيب بشيئين احدهما ان لا يظهر فيه الاعراب فيمكن ان يكون موضعه منصوبا باضمار اعني ومرفوعا باضمار مبتدا ولو ظهر الاعراب فيه لم يمتنع من ان الحمل على الاضمار لا على الصفة فيكون كنحو ما انشده سيبويه

أمن عمل الحراف امسى وظله ۝ وعد وانر اعيتموني براسم ۝

أمير ي عدا ان حبنا عليهما ۝ بهائم مال اوديا بالبهائم ۝

عن نوك الشاعر

الا ترى الى قوله امير عدا لا يجوز ان يكون بدلا من الحراف وراسم لاختلاف العاملين ولكنه على اضمار اعنى ونحوه وكذلك قول الراجز

انها اكتل اورزاما خورين يتفقان الهاما

خورين لا يجوز ان يكون مردودا على اكتل ورزام لكنه انما اوجب احدهما الدخول او الى للشك بينهما الا ترى انه لا يجوز رايت زيدا او عمرا منطلقين فهذا ونحوه من التركيب المشترك الذي يحتمل المعنى وضده ونظيره من الشعر قوله

وقبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

الا تراه قد اخرج هذا الكلام مخرج الهجو ولولا ان في غير هذا البيت دليلا على ذلك لكان من الثناء والمدح وكذلك قول الاخر

يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة ومن اساءة اهل السوء احسانا

واما التركيب الدال على معان مختلفة غير متضادة فكقوله تعالى وما قتلوه يقينا فان قوما يرون الضمير من قتلوه عائدا الى المسيح صلى الله عليه وسلم وقوما يرونه عائدا الى العلم المذكور في قوله وما لهم به من علم الا اتباع الظن فيجعلونه من قول العرب قتلت الشيء علما ومن هذا النوع قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم فان الناس اختلفوا في هذا التشبيه من اين وقع فذهب قوم الى ان التشبيه انما وقع في عدد الايام واحتجوا بحديث رووه ان النصارى كان فرض عليهم في الانجيل صوم ثلاثين يوما كالتي فرضت علينا واذ ملوكهم زادوا فيها تطوعا حتى صيروها خمسين وذهب اخرون الى ان التشبيه انما وقع في الفرض لا في عدد الايام وهذا القول هو الصحيح وان كان القولان جائزين في كلام العرب الا ترى انك اذا قلت اعطيت زيدا كما اعطيت عمرا احتمل ان تريد تساوي العطيتين واحتمل ان تريد تساوي الاعطائين واذا كنت اعطيت

احدهما

احدهما خلاف ما اعطيت الاخر وهذا اكثر ان تتبعناه وقد اوردنا من هذه جملة تنبيها على الغرض الذي قصدناه وبالله التوفيق

الباب الثاني في الحلاف العارض من جهة الحقيقة والمجاز

قد ذهب قوم الى ابطال المجاز وذهب اخرون الى اثباته وانما كلامنا فيه على مذهب من اثبته لانه الصحيح الذي لا يجوز غيره قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقوله بلسان عربي مبين ولا وجه لاطالة القول في الرد على من انكره لاننا لم نقصد في كتابنا هذا قصد احد من اهل المقالات وانما قصدنا الكلام في اصول الخلاف فاقول والله الموفق ان المجاز ثلاثة انواع نوع يعرض في موضع اللفظة المفردة ونوع يعرض في احوالها المختلفة عليها من اعراب وغيره ونوع يعرض في التركيب وبناء بعض الالفاظ على بعض فمثال النوع الاول الميزان يكون المقدار الذي قد تعارفه الناس في معاملاتهم ويكون العدل كقول العرب وازنت بين الشيئين اذا عادلت بينهما ورجل وازن اذا كانت له حصافة ومعرفة قال كثير

رأتني كاشلاء اللجام ولفها من القوم ايزى بادن متباطن

فان اك مسروق العظام فانني اذا ما وزنت القوم بالقوم وازن

ويقال للعروض ميزان الشعر وللنحو ميزان الكلام ويروى ان عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما عرض عليه عود غناء وقيل له ما هذا فقال هو الميزان الرومي اراد انه ميزان الغناء وقال بعض الشعراء يرثي عمر بن عبد العزيز رحمه الله

قد غيب الدافنون اللحد اذ دفنوا بدير سمعان قسطاس الموازين

فشبه عمر بعدله بالميزان ومن ذلك السلسلة فان العرب تستعملها حقيقة وتستعملها مجازا على ثلاثة اوجه الاول الاجبار على الامر والاكراه فمن ذلك قوله عجبت من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل والثاني ان يريد بها المنع من الشيء

الألوكة
www.alukah.net

والكف عنه كقول ابي خراش

فليس كعهد الدار يا أم مالك ولكن احاطت بالرقاب السلاسل

يريد بالسلاسل حدود الاسلام وموافقة النبي كفت الايدي الغاشمة عن غشمها ومنعت من سفك الدماء الا بحقها ومن هذا قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون والثالث يريد وايها ما تابع بعضه في اثر بعض واتصل كقولهم تسلسل الحديث وماء سلسل وسلسال وسلاسل قال اوس بن حجر

وابشر لبيد الهالكين كأنه غدير جرت في مستن الزرع سلسل

وقالوا سلاسل البرق وسلاسل الرمل قال ذو الرمة

لاد مانه من وحش بين سويقة وبين جبال القوات السلاسل

ومن هذا النوع قولهم فلان على الجبل وعلى الدابة اي فوق كل واحد منهما فهذا حقيقة ثم يقولون فلان على دين وفلان امير على البصرة يريدون بذلك القهر والغلبة وكذلك قولهم فلان في الدار وفي البيت ثم يقولون انا في حاجتك وانما يريدون حاجتك قد شغلتني فلم تدع في فضلا لغيرها فشبهوا ذلك بالمكان الذي يحيط بالممكن من كل جهاته الست فلا يدع منه فضلا لغيره وهذا كثير جدا في اللغة يكثر ان نتبعناه ومنه قوله تعالى فأتى الله بنيانهم من القواعد ذهب قوم الى ان البنيان هنا حقيقة وانه اراد الصرح الذي بناه هامان لفرعون وهو الذي ذكره الله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب وذهب اخرون الى انه كلام اخرج مخرج التمثيل والتشبيه قالوا ومعناه انه ما بنوه من مكرهم وارادوا اتيانه وتاصيله ابطله الله تعالى وضربه عليهم فكانوا بمنزلة من بنى بنيانا يتحصن به من المهالك فسقط عليه فقتله وشبهوه بقوله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله والقولان جميعا جايزان على مذاهب العرب الا انهم يقولون بني فلان شرفا ومجدا

وليس

وليس هنالك بنيان في الحقيقة قال عبدة بن الطبيب

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

ويشبه هذا الذي ذهبوا اليه قول ابن احمد

رماني بأمر كنت منه ووالدي بريئا ومن جال الطوي رماني

ويروي ومن جول الطوي والجال والجول ناحية البئر من اسفلها الى اعلاها ومعناه رماني من قعر البئر فرجعت رميته عليه فاهلكته هكذا رواه قوم وفسروه والمعروف ومن اجل الطوي وانما كان يخاصمه في بئر يدعيها كل واحد منهما فقال رماني بأمرنا ووالدي بريئان منه من اجل ما بيني وبينه من الخصام في الطوي وعلى هذا يدل الشعر لان قبله

فلما رأى سفيان ان قد عزلته عن الماء مرمى الحايم الوحدي

ومن هذا النوع قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قوم يرون الجبال هنا حقيقة وانه اراد بذلك ما كان من صعود نمرود ابن كنعان في التابوت نحو السماء فلما كر منحدرا طشته الجبال امر من عند الله فكادت تزول من مواضعها وقوم آخرون يقولون الجبال ههنا تمثيل لامر النبي صلى الله عليه وسلم اي انهم مكروا به ليزيلوا امره الذي قد رسخ رسوخ الجبال التي لا يستطاع على ازالتها من مواضعها والعرب تشبه الشئ الثابت بالجبل الشامخ والصخرة الراسية الا ترى الى قول زهير

الى بارخ يطوي على من يطاوله وقول السموأل بن عاديا

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل

رسى اصله تحت الثرى وسماؤه الى النجم فرع لا ينال طويل

وقال الاعشى في ذلك

كناطح صخرة يوما ليفلقها فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

هذا كلام العرب ومن هذا الباب قوله تعالى يا بني آدم قد

أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم ومعلوم أن الله تعالى لم ينزل من السماء
ملابس تلبس وإنما تأويله والله أعلم أنه أنزل المطر فنبت عنه
النبات ثم رعته البهائم فصار صوفا وشعرا ووبرا على ابدانها ونبت
عنه القطن والكتان فاتخذت من ذلك أصناف الملابس فسمي المطر لباسا
إذ كان سبب ذلك على مذاهب العرب في تسمية الشيء باسم الشيء إذا كان
منه بسبب وهذا يسميه أصحاب المعاني التدريج ونحو قولهم للمطر
سماء لأنه ينزل من السماء والنبت ندى لأنه عن الندى يكون والشحم
ندى لأنه عن النبت يكون قال ابن أحمد

كفر العذاب العود بضربة الندى تعالى الندي في متنه وتحدرا

فالندى الأول المطر والثاني الشحم وقال معاوية بن مالك معود الحكما

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناها وإن كانوا غضابا

ونحو قول الراجز الحمد لله العزيز المنان صار الثريد في رؤوس العيدان

يريد السنبل ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم
ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا ثلث الليل الآخر فيقول هل من سائل
فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه جعلته الحشوية
نزولا على الحقيقة تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا وقد اجمع
العارفون بالله تعالى على أنه لا ينتقل لأن الانتقال من صفات المحدثات
ولهذا الحديث تأويلان صحيحان لا يقتضيان شيئا من التشبيه أحدهما
أشار إليه مالك بن أنس رضي الله عنه وقد سئل عن هذا الحديث فقال
ينزل أمره في كل سحر وأما هو عز وجل فإنه دائم لا يزول وسئل
عنه الأوزاعي فقال يفعل الله ما يشاء وهذا تلويح يحتاج إلى التصريح
وخفي إشارة يحتاج إلى بيان عبارة وحقيقة الذي ذهبا إليه رحمهما الله
أن العرب تنسب الفعل إلى من أمر به كما تنسبه إلى من فعله وباشره بنفسه

فيقولون

فيقولون كتب الأمير لفلان كتابا وقطع الأمير يد اللص وضرب السلطان
فلانا ألف سوط وهو لم يباشر شيئا من ذلك بنفسه إنما أمر به ولأجل
هذا احتيج إلى التأكيد الموضوع في الكلام وقيل جاء زيد نفسه ورأيت
زيدا نفسه معناه على هذا أن الله تعالى أمر ملكا بالنزول إلى السماء الدنيا
فينادي بأمره وقد تقول جاء فلان إذا جاء كتابه أو وصيته ويقولون
للرجل أنت ضربت زيدا وهو لم يضربه إذا كان قد رضي بذلك وشايع
عليه قال الله تعالى فلم تقتلون أنبياء الله والمخاطبون بهذا لم يقتلوا الأنبياء
ولكنهم رضوا بذلك وتولوا قتلة الأنبياء وشايعوهم لسبب الفعل إليهم
وإن كانوا لم يباشروه بأنفسهم وعلى نحو هذا يتأول قوله تعالى فأتى الله بنيانهم من
القواعد فهذا تأويل كما تراه صحيح جار على فصيح كلام العرب في محاورتها والمتعارف
من أساليبها ومخاطباتها وهو شرح ما أراده مالك والأوزاعي رحمهما الله تعالى

بضم الياء

ومما يقوي هذا التأويل ويشهد بصحته أن بعض أهل الحديث رواه ينزل وهذا
واضح والتأويل الثاني أن العرب تستعمل النزول على وجهين أحدهما حقيقة
والآخر مجاز واستعارة فأما الحقيقة فانحدار الشيء من علو إلى سفل كقوله تعالى
وينزل من السماء من جبال فيها من برد وكقول امرئ القيس

هو المنزل الآلاف من جو ناعط بني أسد حزنا من الأرض أو سهلا

وأما الاستعارة والمجاز فعلى أربعة أوجه أحدها الإقبال على
الشيء بعد الإعراض والمقاربة بعد المباعدة يقال نزل البائع في سلعته
إذا قارب المشتري فيها بعد مباعدتها وامتناعه منها بعد منعه ويقال
نزل فلان عن أهله إذا تركها وأقبل على غيرها ومنه قول الشاعر

أنزلني الدهر على الحكمه من شاهق عال إلى الحضض

أي جعلني أقارب من كنت أباعده وأقبل على من كنت أعرض عنه فيكون
معنى الحديث على هذا أن العبد في هذا الوقت أقرب إلى رحمة الله تعالى

الألوكة
www.alukah.net

منه فى غيره من الاوقات واذ البارى يقبل على عباده بالتحنن والعطف
فى هذا الوقت بما يلقيه فى قلوبهم من التنبيه والذكر الباعثين لهم
على الطاعة والجد فى العمل هذا تاويل ايضا ممكن صحيح واما الاقسام
الباقية من معنى النزول فلا مدخل لها فى هذا الحديث واما نذكرها
لتوقيفه معنى النزول ولانها مما يحتاج اليه فى غير هذا الحديث فمنها
ما يراد به ترتيب الاشياء ووضعها مواضعها اللايقة كقوله تعالى
وانزلناه تنزيلا اى رتبناه مراتبه ووضعناه مواضعه ومن ذلك قولهم
نزل فلان عند الملك منزلة حسنة او قبيحة ومنه قول الشاعر

انزلوها بحيث انزلها الله ٭ بدار الهوان والاتعاس ٭ ومنه ما يراد
به الاعلام كقوله سانزل مثل ما انزل الله اى اقول مثل ما قال واعلم
بمثل ما اعلم ومن هذا انزل الوحى انما معناه ان جبريل عليه السلام
تلقاه عن الله وادّاه الى محمد صلى الله عليه وسلم وهو راجع الى معنى
الاقبال الذى قدمناه ومنها ما يراد به الانحطاط فى المرتبة والذلة
كقولهم نزلت منزلة فلان عند الملك اى انحطت ولا يجوز ان يكون قوله
انزلنى الدهر على حكمه من هذا المعنى وقد تستعمل العرب النزول فى
فى النماء والزيادة وهو ضد ما ذكرناه قبل هذا فيقولون طعام له نزلة اى
بركة ونماء وارض نزلة اذا كانت كثيرة الكلاء وبركت القوم على نزلائهم
اذا كانوا فى خصب وحسن حال وقد يستعملونه ايضا على معنى آخر
يقولون نزل القوم اذا انوا منى وقال الشاعر

انا نزلة يا اسم ام غير نازلة ٭ ابينى لنا يا اسم ما انت فاعله ٭

فجميع مواضع هذه الكلمة سبعة هذه وجوه النزول فى كلام العرب
ومما غلطت فيه المجسمة ايضا قوله تعالى الله نور السموات والارض
فتوهموا ان ربهم نور تعالى الله عن قول الجاهلين وانما المعنى الله هادى

السموات

السموات والارض والعرب تسمى كل ما جلا الشبهات وازال الالتباس
واوضح الحق نورا قال الله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا يعنى القرآن
وعلى هذا المعنى سمى نبيه سراجا منيرا وقال العباس بن عبد المطلب
يمدح النبى صلى الله عليه وسلم

٭ وانت لما ظهرت اشرق الارض ٭ ضاءت بنورك الافق ٭

وعلى هذا مجرى كلام العرب قال امرؤ القيس

٭ اقر حشا امرئ القيس بن حجر ٭ بنو تيم مصابيح الظلام ٭
٭ لا يبعد الله جيرانا تركهم ٭ مثل المصابيح تجلو الليلة الظلما ٭
٭ من تلو منهم تقل الاتيت سيدهم ٭ مثل النجوم التى يسرى بها الساد ٭

وقال النبى صلى الله عليه وسلم اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
ولو نخت المجسمة طرفا من التوفيق وتاملت الاية بعين التحقيق لوجدت
فيها ما يبطل دعواهم دون تكلف تاويل ومن غير طلب دليل لانه تعالى
بعقب الاية ويضرب الله الامثال للناس والله بكل شئ عليم فاخبر انما ذكره
فى الاية العزيزة من النور والمشكاة والمصباح والزجاجة والزيتونة والشجرة
امثال مضروبة بعقلها عن الله من وفق لفهمها وكشفت له الحجب عن مكنون
سرها وعلمها كما قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا
العالمون فان قلت كيف وقع هذا التمثيل وما المراد به فالجواب
شبه صدر المؤمن بالمشكاة وقلبه بالزجاجة ونور الهدى الذى يضعه فى قلبه بالمصباح وشبه مادة الهدى
المنبعثة من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم التى تزيد فى بصائر
المومنين وتحفظ نور الايمان عليهم وتمنعه من ان يغلب عليه الشك
فيطمسه بمادة الزيت التى تمد المصباح ليلا يطفا نوره وشبه النبى
صلى الله عليه وسلم بالزيتونة اذ كان الهدى ينبعث من قبله كانبعاث الزيت

بنو تيم

من الزيتونة وجعل الزيتونة لا شرقية ولا غربية لان ظهوره ومبعثه
صلى الله عليه وسلم انما كان بمكة ومكة متوسطة بين المشرق والمغرب
فهذا كلام كما ترى قد خرج على احسن مخارج الكلام وتشبيه جاء على ابدع
وجوه التشبيه فهذا ونحوه من الحقيقة والمجاز العارضين في موضع الكلمة
واما الحقيقة والمجاز العارضان فيهما من قبل احوالها فانهما
كثيران كثرة النوع الاول فمن ذلك قولهم مات زيد فيرفعون كما
يرفعون قولهم اماته الله زيدا واحدهما حقيقة والاخر مجاز ومنه قوله
تعالى فاذا عزم الامر والامر لا يعزم وانما يعزم عليه قال النابغة
وان الذين قد عزما ويقولون اعطى ثوب زيدا وانما الوجه اعطى
زيد ثوبا لان زيدا هو الاخذ للثوب والمتناول له وولد له ستون عاما
والمعنى ولدت له الاولاد في ستين عاما ونحو قولهم بل مكر الليل والنهار

وانشد سيبويه

اما النهار ففي قيد وسلسلة والليل في بطن منحوت من الساج

وتقول العرب نهارك صائم وليلك قائم وقال جرير

لقد لمتنا يا ام غيلان في الشرى ونمت وما ليل المطي بنائم

وقال حميد بن ثور الهلالي

ومطوية الاقراب اما نهارها فسبت واما ليلها فدميل

واما المجاز والحقيقة العارضان من طريق التركيب وبناء بعض الالفاظ على بعض فنحو
الامر يرد بصيغة الخبر والخبر يرد بصيغة الامر والايجاب يرد بصيغة النفي والنفي يرد
بصيغة الايجاب والواجب يرد بصيغة الممكن او الممتنع والممكن والممتنع يرد ان بصيغة
الواجب والمدح يرد بصورة الذم والذم بصورة المدح والتقليل يرد بصورة التكثير
والتكثير يرد بصورة التقليل ونحو ذلك من اساليب الكلام التي لا يقف عليها الا من
تحقق بعلم اللسان وكل نوع من هذه مقصود به غرض من اغراض البيان

ونحن نذكر من كل نوع من هذه الانواع امثلة تشهد بصحة ما قلناه
ليحتذي فيما لم نذكره على ما ذكرنا ان شاء الله تعالى اما الامر الوارد بصيغة
الخبر فقولهم حسبك درهم فان صيغة هذا الكلام كقولك احولك
مطلقي وابوك زيد ومعناه معنى الامر لان تقديره ليكفك درهم
او اكتف بدرهم قال امرؤ القيس وحسبك من غنى شبع وري
ومن هذا قولهم في الدعاء غفر الله لزيد ورحمك الله وسلم عليك ومنه
قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين وانما المعنى
ليرضع الوالدات اولادهن واما الخبر الوارد بصيغة الامر فكقولهم
في التعجب احسن بزيد فان صيغته كصيغة قولك احسن الى زيد واحدهما خبر
والاخر امر لان معنى احسن بزيد ما احسن زيدا فانما انت مخبر لا آمر ومكان الباء
وما عملت فيه رفع ومكان الى وما عملت فيه نصب ومنه قوله تعالى اسمع بهم وابصر
اي ما اسمعهم وابصرهم واما الايجاب الوارد بصيغة النفي فكقولهم ما زال زيد عالما
فان صيغته كصيغة ما كان زيد عالما والاول ايجاب والثاني نفي فاذا ادخلت على
هذه الجملة الا التي للايجاب فقلت ما زال زيد الا عالما صارت صيغة الموجب معناه
كمعنى المنفي والعلة في ذلك ان قولك زال زيد عالما لو كان مما يستعمل لكان معناه
زال عن العلم وانتفى منه فاذا ادخلت عليه ما النافية رجع ايجابا لان النفي
الثاني يبطل النفي الاول واذا ادخلت عليه الا بطل النفي الثاني الذي احدثته
ما وعاد النفي الاول الى حاله فصار قولك ما زال زيد عالما بمنزلة قولك
ما زال زيد عالما فمن النحويين من يرى ان قولك ما زال زيد الا عالما
انما امتنع من الجواز لان دخول ما في صدر المسئلة يوجب له العلم ودخول الا
في اخرها ينفي عنه العلم فيصير نافيا مثبتا للخبر في حالة واحدة
ومنهم من يقول انما استحال لان دخول الا عليه يبطل ما لها منافضة
لها فكأنك قلت زال زيد عالما وهذا غير جائز لان العرب لم تستعمل

الألوكة
www.alukah.net

زال الداخلة على الابتداء والخبر الا مع ما ومنهم من يقول انما استحال لان قولك ما زال زيد عالما كلام موجب وان كان بصورة المنفي فلما كان كذلك لم يجز دخول الا عليه لان الا وضعت لتوجب ما كان منفيا قبل دخولها واذا كان الكلام موجبا بنفسه استغنى عنها ومن ظريف هذا النوع قول الفرزدق

٭٭ بايدي رجال لم يشيموا سيوفهم ٭٭ ولم تكثر القتلى بها حين سلت ٭٭

قال اصحاب المعاني معناه لم يشيموا سيوفهم الا وقد كثرت القتلى بها حين سلت فمعناه كما ترى ايجاب وصيغته وظاهره نفي وانما وجب هذا لان قوله ولم تكثر القتلى ليس بجملة منقطعة من الجملة التي قبلها معطوفة عليها على حد عطف الجمل وانما هي في موضع نصب على الحال من السيوف وتقرير الكلام لم يشيموا سيوفهم غير كثرة القتلى بها حين سلت فصار بمنزلة قولك لم يجئ زيد ولم يركب فرسه اذا جعلت قولك ولم يركب فرسه في موضع الحال من زيد تقديره لم يجئ زيد غير راكب فرسه فمحصول معناه انه جاء راكبا فرسه فظاهره نفي ومعناه ايجاب وقد يجوز في المسئلة ان تريد انه لم يجئ ولم يركب فتنفي الفعلين معا وتجعلهما جملتين ليست احداهما متعلقة بالاخرى الا على جهة العطف فقط واما النفي الوارد بصورة الايجاب فنحو قولهم لو جاءني زيد لاكرمته فصورته صورة كلام موجب لانه ليست فيه اداة من ادوات النفي وهو منفي في المعنى لانه لم يقع المجيء ولا الاكرام واذا ادخل عليه حرف النفي فقيل لو لم يشتمني زيد لم اضربه صار بصورة صورة النفي ومعناه معنى الموجب ومن اجل هذا قال النحويون في قول امرئ القيس

٭٭ فلو انما اسعى لادنى معيشة ٭٭ كفاني ولم اطلب قليل من المال ٭٭

ان نصب القليل هذا محال لانه كونصب لاوجب انه قد طلب قليلا من المال وهذا خلاف ما اراده الشاعر الا ترى انه يقول بعد هذا

٭٭ ولكنما اسعى لمجد مؤثل ٭٭ وقد يدرك المجد المؤثل امثالي ٭٭

فاخبر ببعد همته وعلوها وانه انما يطلب الملك والرياسة الا ترى الى النحويين قد جعلوا قوله ولم اطلب قليلا بالنصب ايجابا وظاهره نفي وانما عرض هذا من قبل لو في اول البيت وقد اعلمتك ان ايجابها نفي ونفيها ايجاب ومن هذا قوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا واما ما ورد بصورة الممكن فكقوله تعالى فعسى الله ان ياتي بالفتح وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وهذا واجب ثابت وصورته صورة الممكن لا المشكوك فيه والعرب تفعل هذا تحريرا للمعاني واحتياطا عليها ومنه قول الشاعر

٭٭ لعل ان مالك بن الريح ميلة ٭٭ على ابن ابي ربان ان يتندما ٭٭

فاخرج كلامه مخرج الامكان وانما يريد انه يتندم لا محالة واما ما ورد المتنع بصورة الممكن فكقول امرئ القيس

٭٭ وبدلت قرحا دامما بعد صحة ٭٭ لعل منايانا تحولن ابؤسا ٭٭

وتحول المنايا ابؤسا من الممتنع الذي لا يمكن وقد جعلته كما ترى في صورة الممكن على العلم منه بانه ليس كذلك لعلة لا بد لذلك واستراحه مما كان فيه من عظيم البلاء ونحوه قال كعب الغنوي يرثي اخاه

٭٭ وداع دعا يا من يجيب الى الندى ٭٭ فلم يستجبه عند ذاك مجيب ٭٭

٭٭ فقلت ادع اخرى وارفع الصوت رفعة ٭٭ لعل ابي المغوار منك قريب ٭٭

٭٭ يجيبك كما قد كان يفعل انه ٭٭ مجيب لابواب العلا مطلوب ٭٭

وقال النابغة الجعدي

٭٭ فان تحي لا املل حياتي وان تمت ٭٭ فما في حياتي بعد موتك طائل ٭٭

ومن هذا الباب قول الرجل المحرق لبنيه اذا انا مت فاحرقوني واذروا رمادي في اليم فلعلي اصل الله فوالله لو قدر الله علي ليعذبني عذابا شديدا الا ترى انه اخرج ما قد تحققوا انه لا يكون مخرج ما يرجى ان يكون

الألوكة
www.alukah.net

تعللا لابد لك كما فعل امرؤ القيس في قوله لعل مدايانا تحولن ابوسا
لاشك ان هذا الذي رجاه ممتنع ومن ابين ما في ذلك قول الاخر
اخادع نفسي بالامانى تعللا على العلم مني انها ليس تنفع
واما قوله فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا شديدا فمعناه فوالله لئن ضيق الله
علي طرق الخلاص ليعذبني وليس لشك في قدرة الله ولو شك في ذلك لكان كافرا
وانما هو كقوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه ويجوز ان يكون من القدر الذي هو القضاء
فيكون معناه فوالله لئن قدر الله على العذاب فخذ فالمفعول محذوف كما قال النابغة
حتى حسبنا بهم تعدي فوارسنا كأنما عن فتير رفع اهالا
اراد تعدي فوارسنا الخيل ويجوز ان يكون قوله لئن قدر الله على من القدرة على الشيء
فان قيل كيف يصح هذا ودخول الشرط قد جعله من خبر الممكن الذي يجوز ان
يكون ويجوز ان لا يكون الا ترى انك اذا قلت ان جاء في زيد اكرمته
فيمكن ان يقع ذلك وممكن ان لا يقع وهذا شك محض في قدرة الله
فالجواب ان العرب قد تستعمل ان الشرطية للشرط بمعنى اذا كما تستعمل
اذا بمعنى ان واذا تقع على الشيء الذي لا شك في كونه كقوله اذا السماء
انفطرت فمعناه على هذا فوالله ان قدر الله علي ليعذبني عذابا شديدا واما جاز
وقوع ان التي للشرط موقع اذا الزمانية لان كل واحد منهما يحتاج
الى جواب والشيئان اذا تضارعا جاز ان يقع كل واحد منهما موقع
صاحبه فسما وقعت فيه ان موقع اذا قوله لتدخلن المسجد
الحرام ان شاء الله آمنين وقوله عليه الصلوة والسلام حين وقف
على القبور انا ان شاء الله بكم لاحقون معناه اذا شاء الله
ومثله قول الشاعر
فاذ لا يكن حسبي طويلا فانني له بالفعال الصالحات وصول
معناه فاذا لم يكن حسبي طويلا فانني اطوله بالافعال الحسان ولا يصح
الشرط

الشرط هنا بان لان قصر جسمه شيء قد وقع والشرط ههنا محال ومثله قول الاخر
وان اك قد فارقت نجدا واهله فما عهد نجد عندنا بذميم
واما وقوع اذا بمعنى ان فكقول اوس بن حجر
اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا اصبت حليما او اصابك جاهل
والاعراض عن الخنا ممكن ان يكون وممكن ان لا يكون واما ورد
المدح في صورة الذم فكقولهم اخزاه الله ما اشعره وقول كعب الغنوي
هو ان امه ما يعبث الصبح عاديا وما ذاد الليل حين يثوب
وذكر ابن جني ان اعرابيا رأى ثوبا فقال ما اله محمقه الله قال فقلت له لم
تقول هذا فقال اذا اذا استحسنت شيئا دعوت عليه واصل هذا انهم يكرهون
ان يمدحوا الشيء فيصيبوه بالعين فيعدلون عن مدحه الى ذمه واما ورد
الذم في صورة المدح فكقوله تعالى انك لانت الحليم الرشيد
وقول الشاعر
وقلت لسيدنا يا حلم ان لك لم تاس السوار فيقا
واما التقليل الوارد بصورة التكثير فنحو قولك كم بطلا قتلت ويكم
ضيف نزل عليه وانت تريد انه لم يقتل بطلا قط ولا نزل ضيفا لكنك
تقصد الاستهزاء به كما يقال للبخيل يا كريم وللاحمق يا عاقل واما التكثير
الوارد بصورة التقليل فنحو قولك رب ثوب حسن قد لبست ورب عالم
قد لقيت فتقلل ما لبست من الثياب ومن لقيت من العلماء تواضعا ليكون
اجل لك في النفوس لان الرجل اذا احقر نفسه تواضعا ثم اختبر فوجد عظيم
مما وصف به نفسه عظم في النفوس واذا تعاظم وانزل نفسه فوق
منزلتها ثم اختبر فوجد اقل مما قال استخف به وهان على من كان يعظمه
وقد يستعمل تقليل الشيء وهو كثير في الحقيقة لضرب من الاغراض
والمقاصد كالرجل يهدد صاحبه فيقول لاعاقبنك فربما ندمت

الألوكة
www.alukah.net

وهذا مكان ينبغي ان يكثر فيه الندامة وليس بموضع تقليل وانما
تاويله ان الندامة على هذا لو كانت قليلة لوجب ان يجتنب ما يؤدي
اليها فكيف وهي كثيرة فصار فيه من معنى المبالغة ما ليس في التكثير
لو وقع ههنا ومن هذا قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين وقد توهم قوم ان رب للتكثير حتى خفي عليهم ما ذكرناه من تداخل
المعاني وهذه غفلة شديدة لانا نجد المدح قد يستعمل في موضع الذم
والذم قد يستعمل في موضع المدح ولا يخرجهما ذلك عن موضوعهما
الذي وضعا عليه في اصل وضعهما كما ان العلم الذي وضع في اصل وضعه
للخصوص قد يعرض له العموم والنكرة التي وضعت في اصل وضعها
للعموم قد يعرض لها الخصوص ولا يبطل ذلك وضعهما الذي وضعا عليه
اولا وانما ذلك لكثرة المعاني وتداخلها واختلاف الاغراض وتباينها فمتى وجد
شيئا قد خالف اصله فانما ذلك لسبب وغرض فيجب لك ان تبحث عليه فمن
مشكل هذا الباب قول ابي بكر الهذلي

الا زعمر ان شيبت القذال فانني ۝ رب هيضل مرس لغف هيضل ۝

ورب ههنا مخففة من رب وقول ابي عطاء السندي

وان يمس مهجور الفناء فربما ۝ اقام به بعد الوفود وفود ۝

والمراد بهذين البيتين التكثير ولكن خرجا مخرج التقليل ليكون امدح والمعنى
ان هذا لو كان قليلا لكان فيه مخزاة لصاحبه فكيف ظنك به وهو كثير ويحمل
قول ابي عطاء ان يكون المراد به تقليل مدة حياة المرثي التي كثرت فيها عليه
الوفود ومثل نحو هذه التاويلات متاول ما ورد مخالفا للاصول وملاك هذا
الباب معرفة المجاز والحقيقة وهو باب يدق على من لم يتمرن بهذه الصناعة
فلذلك تنكر كثيرا مما هو صحيح ولذه در ابي الطيب المتنبي حيث يقول

وكم من عائب قولا صحيحا ۝ وآفته من الفهم السقيم ۝

ولكن

ولكن تأخذ الاذان منه ۝ على قدر القرائح والعلوم ۝

ومن طريف المجاز العارض من طريق التركيب ايقاعهم ادوات المعاني
على السبب ومرادهم المسبب تارة وتارة يوقعونها على المسبب ومرادهم السبب
وانما يفعلون هذا التعلق احدهما بالاخر فمثال الاول قوله تعالى
فلا تموتن الا وانتم مسلمون فاوقع النهي على الموت في اللفظ والموت
ليس بفعلهم فيصح نهيهم عنه وانما نهاهم عن مفارقة الاسلام
ومعناه لا تفارقوا الاسلام حتى تموتوا عليه واوقع النهي عن الموت
لانه السبب الذي من اجل توقعه وخوفه يلزم الانسان ان يستعد
لوروده ويتاهب له بصالح عمله والثاني مثل قوله فما تنفعهم شفاعة
الشافعين وليس المراد اثبات شفاعة غير نافعة لانه لا شفاعة هناك
في الحقيقة بدليل قوله تعالى فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
فاوقع النفي على المنفعة التي هي المسبب ومراده تعالى الشفاعة التي
هي سبب المنفعة فكانه قال فما تكون شفاعة فتكون منفعة ونحو قوله
ما تنفعني كلام زيد هذا كلام يحتمل امرين احدهما
ان تريد اثبات الكلام ونفي المنفعة وحدها والثاني ان تريد نفيهما معا
اي لم يكن منه كلام فتكون منفعة ونحو منه قوله تعالى لا يسئلون
الناس الحافا اي لا تكون مسئلة فيكون الحافا ومن هذا الباب قول امرئ القيس

على لاحب لا يهتدي لمناره ۝ ولم يرد اثبات المنار ونفي الاهتداء به
ولو كان ثم منار لكانت ثمة هداية وانما المعنى ليس ثمة منار فيكون
اهتداء ونحو من هذا قول العرب لا ارينك ههنا اي لا تكون ههنا فاني
اراك فالمراد بالنهي الكون لا الرؤية ونحوه قول النابغة

لا اعرفن ربربا مجورا مدامعها ۝ كان ابكارها نعاج دوار ۝

فعلى هذا مجرى هذا الباب ۝

بلغ مقابلة

الباب الثالث في الخلاف العارض من جهة الإفراد والتركيب

هذا باب غريب جدا وقد تولدت منه بين الناس انواع كثيرة من الخلاف وهو باب يحتاج الى تأمل شديد وحذق بوجوه القياس ومعرفة تركيب الالفاظ وبناء بعضها على بعض وذلك انك تجد الاية الواحدة ربما استوفت الغرض المقصود بها من التعبد فلم تحوجك الى غيرها كقوله يا ايها الناس اتقوا ربكم ويا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله وقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان كل واحدة من هذه الايات قائمة بنفسها مستوفية للغرض المراد منها وكذلك الاحاديث الواردة كقولهم الزعيم غارم والبينة على المدعي وربما وردت الاية غير مستوفية للغرض المراد من التعبد ووردت تمام الغرض في اية اخرى وكذلك الحديث كقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب فظاهر هذه الاية ان من اراد حرث الدنيا اوتي منها ونحن نشاهد كثيرا من الناس يحرصون على الدنيا ولا يؤتون شيا منها وهو كلام يحتاج الى بيان وايضاح ثم قال في اية اخرى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد فاذا اضيفت هذه الاية الى الاية الاولى بان مراده تعالى وارتفع الاشكال وكذلك قوله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان ونحن نرى الداعي يدعو فلا يستجاب ثم قال في اية اخرى بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء فذلك اشتراط المشيئة في هذه الاية الثانية على انه مراد في الاية الاولى وربما وردت الاية مجملة ثم يفسرها الحديث والايات الواردة مجملة في الصلوة والزكوة والصيام والحج ثم شرحت السنة والاثار جميع ذلك وكقوله تعالى واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت

لعله كقوله عليه السلام او

مراد الله صح

لعله فلا يجاب اهـ

او يجعل الله

او يجعل الله لهن سبيلا ثم قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة والرجم وهذا صار الفقيه مضطرا في استعمال القياس الى الجمع بين الايات المفترقة وبين الاحاديث المتغايرة وبناء بعضها على بعض ووجه الخلاف العارض من هذا الموضع انه ربما اخذ بعض الفقهاء بمفرد الاية او بمفرد الحديث وبنى اخر قياسه على جهة التركيب الذي ذكرنا بان ياخذ بمجموع ايتين او بمجموع حديثين او بمجموع ايات او بمجموع احاديث فيفضي بها الكال الى الاختلاف فيما بينهما وربما افضت بهما الحال الى التناقض فاحل احدهما ما يحرم الاخر وربما افضى بهما الى اختلاف العقايد فقط وربما افضى بهما الى اختلاف الاسباب فقط كاختلاف الناس في سبب تحريم الخمر فاذا قوما يستدلون على وجوب تحريمها بمجرد قوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقوم يستدلون عليه بمجرد قوله يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه الى قوله فهل انتم منتهون وقوم يردون ذلك بطريق التركيب وبناء الالفاظ بعضها على بعض وذلك انه لما قال تبارك وتعالى يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ثم قال في اية اخرى قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم تركب من مجموع الايتين فياس ايجاب تحريم الخمر هو ان يقال كل اثم حرام والخمر اثم فالخمر اذا حرام ومثل هذا قوله تعالى فيما حكاه عن قوم لوط اتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ثم قال في هذه الاية التي ذكرناها قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن فتركب من الايتين قياس وهو كل فاحشة حرام وفعل قوم لوط فاحشة ففعل قوم لوط حرام

الألوكة
www.alukah.net

فعلى مثل هذا انحت النتايج وركبت القياسات ووقع بين اصحاب القياس
الخلاف بحسب تقدم القايس وبحسب تأخره وخالفهم اخرون لم يروا القياس
ورأوا الاخذ بظاهر الالفاظ فنشأ من ذلك نوع اخر من الخلاف
ومما اختلف فيه اقوال الفقهاء الاخذ كل واحد منهم بحديث مفرد اتصل به
ولم يتصل به سواه مارووى عن الليث بن سعد انه قال قدمت مكة فالفيت
فيها اباحنيفة وابن ابي ليلى وابن شبرمة فاتيت اباحنيفة فقلت له
ما تقول في رجل باع بيعا وشرط شرطا فقال البيع باطل والشرط باطل
فاتيت ابن ابي ليلى فسألته عن ذلك فقال البيع جايز والشرط باطل واتيت
ابن شبرمة فسألته عن ذلك فقال البيع جايز والشرط جايز فقلت في نفسي
يا سبحان الله ثلاثة من فقهاء العراق لا يتفقون على مسئلة فعدت الى ابي حنيفة
فاخبرته بما قال صاحباه فقال ما ادري ما قال لك حدثني عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع وشرط فالبيع باطل
والشرط باطل فعدت الى ابن ابي ليلى فاخبرته بما قال صاحبه فقال ما ادري
ما قال لك حدثني هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت امرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اشتري بريرة فاعتقها البيع جايز والشرط باطل
قال فعدت الى ابن شبرمة فاخبرته بما قال صاحباه فقال ما ادري
ما قالا لك حدثني مسعر بن كدام عن محارب بن دثار عن جابر
قال بعت النبي صلى الله عليه وسلم بعيرا واشترط لحملانه وروى
ركوبه الى المدينة البيع جايز والشرط جايز وقد ترد الاية والحديث
بلفظ مشترك يحتمل تاويلات كثيرة ثم ترد اية اخرى او حديث بتخصيص
ذلك اللفظ المشترك وقصره على بعض تلك المعاني كقوله عز من قايل
ووجدك ضالا فهدى فان لفظة الضال لما كانت مشتركة تقع على
معاني كثيرة توهم قوم ممن لم يكن لهم فهم صحيح بالقرآن ولا معرفة

ثابتة باللسان انه اراد الضلال الذي هو ضد الهدى
فزعموا انه كان على مذهب قومه أربعين سنة وهذا خطأ فاحش
نعوذ بالله من اعتقاده فيمن طهره الله لنبوته وارتضاه لرسالته
ولو لم يكن في القرآن العزيز ما يرد قولهم لكان فيما ورد من الاخبار
المتواترة ما يرد عليهم ذلك لانه قد روى انهم كانوا يسمونه في الجاهلية
الأمين وكانوا يرضونه حكما عليهم ولهم وكانت عندهم اخباره
كثيرة برووها وانذارات من اهل الكتاب والكهان بانه يكون
نبيا ولولا ان كتابنا هذا ليس موضوعا لها لاقتصصنا اثارها
فكيف والقرآن العزيز قد كفانا هذا كله فقوله عز من قايل
في سورة يوسف نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا
اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين فهذا
نص جلي قد شرح ما وقع في تلك الاية من الايهام وبين انه انما
اراد الضلال الذي هو الغفلة كما قال في موضع اخر لا يضل ربي
ولا ينسى اي لا يغفل وقال ان تضل احداهما فتذكر
احداهما الاخرى اي تغفل وتضل وقالت الصوفية معناه
ووجدك محبا في الهدى فهداك فتأولوا الضلال ههنا بمعنى
المحبة وهذا قول حسن جدا وله شاهد من القرآن فاحكاه
الله تعالى من قول اخوة يوسف لابيهم تالله انك لفي
ضلالك القديم انما ارادوا بالضلال ها هنا افراط محبته
في اخيهم يوسف صلى الله عليه وسلم وعلى جميعهم وامثاله
شاهد من اللغة فانه جايز في مذاهب العرب ان تسمي
المحبة ضلالا لان افراط المحبة تشغل المحب عن كل غرض
وتحمله على النسيان والاغفال لكل واجب مفترض ولذلك قيل

واللغة اما شاهد صح من القرآن

الألوكة
www.alukah.net

الهوى يعمى ويصم فسميت المحبة ضلالا اذ كانت سبب الضلال
على مذاهبهم فى تسمية الشئ باسم الشئ اذ كان منه بسبب
ومن هذا الباب قوله تعالى فى سورة نوح عليه السلام
أن اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم
ويؤخركم الى اجل مسمى والاجل قد علمنا انه لا تاخير فيه
وقد بين ذلك بقوله تعالى فى عقب الاية ان اجل الله اذا جاء
لا يؤخر وقال فى موضع اخر فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون فوجب ان ينظر فى معنى هذا التاخير
ما هو ثم وجدنا هذه الاية المهمة المجملة قد شرحتها اية واضحة
مفصلة كفتنا التاويل ولم تحوجنا الى طلب الدليل وهو قوله
تعالى فى سورة هود عليه السلام وان استغفروا ربكم ثم توبوا
اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى فدلت هذه الاية على انه انما
اراد بتاخير الاجل التمتيع الحسن لان التمتيع الحسن يجمع فيه الغنى
والسلامة من الافات والعز والذكر الحسن والعرب تسمى هذه
الاشياء كلها زيادة فى العمر وتسمى اضدادها وخلافها نقصانا من
العمر وقد جاء فى بعض الاحاديث ان موسى عليه السلام
شكى الى الله تعالى بعدوة له فاوحى الله اليه انى سامينه فلما
كان بعد مدة راه فقير ينسج الحصير فقال يا رب الم تعدنى ان تعينه
فقال اوليس قد فرقته وقد تعين علينا فى هذا الموضع ان نذكر
على كم معنى يتصرف الحياة والموت فى اللسان العربى ليتبين ما ذكرناه
بشواهده حتى لا يبقى فيه لطاعن مطعن بحول الله تعالى
اعلم ان الحياة والموت لفظتان مشتركتان يستعملان فى
اللغة العربية على ثلاثة عشر وجها احدها الوجود والعدم

والثانى مقارنة النفس الحيوانية الاجسام ومفارقتها
اياها والثالث العز والذل والرابع الغنى والفقر والخامس
الهدى والضلال والسادس العلم والجهل والسابع الحركة والشكوى
والثامن الخصب والجدب والتاسع اليقظة والنوم والعاشر اشتعال
النار وخمودها والحادى عشر المحبة والبغضا والثانى عشر الرطوبة
واليبس والثالث عشر الرجا والخوف ونحن نورد على كل وجه
من هذه الوجوه امثلة تشهد بصحة ما قلناه ان شاء الله
تعالى اما الحياة والموت المراد بهما مقارنة النفوس للاجساد
ومفارقتها اياها فشهرتهما تغنى عن ايراد امثالهما واما الوجود والعدم
فكقولهم للشمس ما دامت موجودة حية فاذا عدمت سموها ميتة

قال ذو الرمة

فلما رأن الليل والشمس حية ٭ حياة الذى يقضى حشاشة نازع

شبه الشمس عند غروبها بالحى الذى يجود بنفسه عند الموت
وهو من التشبيه البديع وقال اخر

اذا شئت ان ارمى صروم مشيع ٭ معى وعقام تنفى المنجا مقلة

فقلت

يطوف بها من جانبيها ويتقى ٭ بها الشمس حى فى الاكارع ميت

يريد ظلها فى نصف النهار اراد انه موجود فى الاكارع معدوم
من سائر الجسم واما العز والذل والغنى والفقر فنحو ما قدمنا
من حديث موسى صلى الله عليه وسلم ونحو ما روى عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قوله من سره النساء فى الاجل
والسعة فى الرزق فليصل رحمه ومنه قول الشاعر

ليس من مات فاستراح بميت ٭ انما الميت ميت الاحياء

الألوكة
www.alukah.net

انما الميت من يعيش كئيبا • كاسفا باله قليل الرجاء

وقال آخر

فأبنوا علينا لا ابا لابيكم • فعالنا ان الثناء هو الخلد

وقال آخر

وكان ابو عمرو معارا حيا نزر بعمرو فلما مات مات ابو عمرو يقول كان ابنه عمرو يحيي ذكره فكأنه حي فلما مات انقطع ذكره فكأنه اماتا حينئذ واما ما يراد به الهدى والضلال والعلم والجهل فكقوله تعالى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وقوله عز وجل اومن كان ميتا فاحييناه اي المعنى اومن كان ضالا فهديناه وجاهلا فعلمناه وتقول العرب للذكر النبيه حي والبليد الغبي ميت وقال لقمان لابنه يا بني جالس العلما وازدحم بركبتيك فان الله يحيي القلب الميت بالكلمة من الحكمة يسمعها كما يحيي الارض بالمطر واما الحياة والموت المراد بهما الحركة والسكون فنحو قول الراجز

قد كنت ارجو ان تموت الريح • فارقد اليوم واستريح

فجعل هبوب الريح حياة وسكونها موتا وقال المجنون

يموت الهوى مني اذا ما لقيتها • فان زادعتها الجلد ما بالسوط ماتت

يعني الدوامة واما ما يراد به الخصب والجدب قال العرب تقول انبت الارض فاحييتها اذا وجدتها مخصبة ويقال ارض حية بالماء ارض ميت بغير ماء قال الله تعالى فاحيينا به بلدة ميتا وقال آخر

أقول لسيل جاء من عند الله يقصد قصد الحية المغلة

قال بعض اصحاب المعاني اراد بالحية الارض المخصبة

والمغلة

ويجلد اذا اقتها فهود وقال آخر

ويجلد ة بالصوت فيه حياتها • وموموم

والمغلة ذات الغلة ويشهد لهذا التاويل رواية من ذوى الجهة بالجيم والنون وقال آخرون انما اراد الحية نفسها والمغلة ذات الغل والحقد وشبه تلوى السيل وانعطافه بتلوى الحية وانعطافها اذا مشت وهذا هو قول ابن الرومي

بين حفاف جدول مسجور • كالسيف او كالحية المذعور

واما اليقظة والنوم فكقول الله عز وجل يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فسمى النوم وفاة وسأل رجل ابن سيرين عن رجل غاب عن مجلسه فقال له اما علمت انه توفي البارحة فلما راى جزع السائل قال الله يتوفى الانفس حين موتها وقال الشاعر

يموت ويحيى كل يوم وليلة • ولا بد يوما ان يموت ولا يحيى

واما اشتعال النار وخمودها فمشهور متعارف ايضا فمنه قول ذي الرمة يصف نارا اقتدحها

فقلت له ارفعها اليك وحيها • بروحك واقبله لها قدقدا

وقال آخر في مثله

وزهرا ان لقيتها فهو عيشها • وان لم اكفنها فموت معجل

يعني بالزهر الشرارة الساقطة من الزند عند الاقداح يقول ان بادرت اليها عند سقوطها من الزند فلففتها في خرقة سقطت حيث وان تركتها ماتت وطفئت واما الحياة والموت المستعملان بمعنى المحبة والبغضا فكقول الشاعر

ابلغ ابا مالك عني مغلغلة • وفي العتاب حياة بين اقوام

اي اذا تعاتبوا حيت المودة بينهم فاذا تركوا العتاب ماتت المودة اي ذهبت وانقطعت وصار والى البغضا والهجر

الألوكة
www.alukah.net

واما الرطوبة واليبس فنحو ماذهب اليه السدى فى قوله
تعالى يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي قال معناه يخرج
السنبلة الخضرا من الحبة اليابسة ويخرج الحبة اليابسة من
السنبلة الخضرا وهذا راجع الى معنى الخصب والجدب من بعض
وجوه ويحوا نحوه قال ابن ميادة •
سحائب لامن صيف ذى صواعق • ولا محرقات ماؤهن حميم
اذا ماهبطن الارض قدمات عودها • بكين بها حتى يعيش هشيم
واما الرجا والخوف فلا اذكر عليهما شاهدا غير قول ابى الطيب
تركتنى اليوم فى غفلة • اموت مرارا واحيا مرارا
فهذه وجوه الحياة والموت فى كلام العرب قد اسوفنا اقسامها
لما جرى من ذكر الاية المتقدمة ثم نرجع الى ماكنا فيه فنقول ان
من ظريف امر هذا الباب انه قد يتولد منه مقالتان متضادتان
كلاهما غلط ويكون الحق فى مقالة ثالثة متوسطة بينهما ترتفع
عن حد التقصير وتحط عن حد الغلو واذا تاملت المقالات
التى شجرت بين اهل ملتنا فى الاعتقادات رأيت اكثرها على هذه
الصفة وقد نبهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله
دين الله بين الغالى والمقصر وهذا تصريح بهذا الذى ذكرنا
وتحذير منه وقال ايضا خير الامور اوساطها وقال
رجل للحسن البصري علمنى دينا وسوطا لا اسقط سقوطا ولا
داهيا فروطا فقال احسنت خير الامور اوساطها وهذا
النوع يطول فيه الكلام ان ذهبنا الى تتبعه ولكنا نذكر منه
شيئا يستدل به على غيره فمن ذلك ان قوما لما خطر ببالهم
امر القضا والقدر واحبوا الوقوف على حقيقة ما ينبغى ان يعتقد

فى ذلك

فى ذلك تاملوا القران العزيز والحديث المأثور فوجدوا فيهما
اشياء ظاهرها الاجبار والاكراه كقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم
على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله تعالى ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وقوله بل طبع الله عليها
بكفرهم فى ايات كثيرة غيرهذه ووجدوا فى الحديث المأثور نحو
ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم السعيد من سعد فى بطن امه
والشقى من شقى فى بطن امه فبنوا من هذا النوع من الايات
والاحاديث مقالة اصلوها على ان العبد مجبور ليس له شئ
من الاستطاعة وصرحوا بان من اعتقد غير هذا فقد كفر
وخطر ببال اخرين مثل ذلك ومذهب هؤلا لم يرضوه
معتقدا لانفسهم فتصفحوا القرآن والحديث فوجدوا فيهما
ايات اخر واحاديث ظاهرها يوهم ان العبد مستطيع مفوض
امره اليه يفعل ما يشاء كقوله تعالى ولا يرضى لعباده
الكفر وقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
وقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا وقوله
صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه
هما اللذان يهودانه او ينصرانه او يمجسانه وقوله عليه السلام
يقول الله تعالى خلقت عبادى حنفا كلهم فاجالتهم الشياطين
عن دينهم فبنوا من هذا النوع من الايات والاحاديث مقالة
ثانية مناقضة للمقالة الاولى اصلوها على ان العبد مخير مفوض
اليه امره يفعل ما يشاء ويستطيع على ما يريده ربه تعالى
الله عما يقول الجاهل علوا كبيرا ثم عمدت كل فرقة من هاتين الفرقتين
الى ما خالف مذهبها من الايات والاحاديث فطلبت له التاويل

فبنوا ٧

غيرهذا ٩ صح

بياض بالأصل

الألوكة
www.alukah.net

البعيد ورد واما امكنهم رده من الاحاديث المتناقضة لمذهبهم
وان كان صحيحا كمن يروم ستر ضوء النهار ويؤسس بنيانه على
شفا جرف هار ولما تأملت طائفة ثالثة مقالتي الفرقتين
معا لم يرتضوا بواحدة منهما معتقدا لا لنفسهم ورأوا انهما جميعا
اخطاء لان المقالة الاولى تجويز الجور على الباري تعالى وابطال التكليف
والمقالة الثانية تعجيل له تعالى بأمر خلقه وتعجيز له عن تمام
مشيئته فيهم وكلا الصفتين لا تليق بمن قد وصف نفسه بقوله
تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات
الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين ورأوا ان الآيات
والاحاديث الاول ليس باولى من الاخذ بالآيات والاحاديث
الاخر وان الحق انما هو في واسطة تنتظم الطرفين وتسلم من
شناعة المذهبين واعتبروا القول والحديث مصابر اصح من بصائر
الفريقين فوجدوا الآيات واحاديث تجمع سنيت للمقالتين وتخبر بغلط
الفريقين كقوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم
شيئا قليلا وقوله تعالى في يوسف عليه السلام ولقد همت به وهم
بها لولا ان رأى برهان ربه وقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء
الله فاثبت للعبد مشيئة لا تتم الا بمشيئة ربه تعالى ووجدوا الامة
مجمعة على قولهم لا حول ولا قوة الا بالله وفي هذا اثبات حول وقوة
للعبد لا يتم الا بمعونة الله اياه ووجدوا الامة مجمعة على الرغبة الى
الله تعالى في العصمة والاستعاذة به من الخذلان ورأوا الله تعالى قد
اثبت لنفسه علم غيب وعلم شهادة بقوله تعالى عالم الغيب والشهادة
علمه بالاشياء وقت كونها واعتبروا احوال الانسان التي وقع فيها
التكليف واحواله التي لم يقع فيها تكليف فوجدوا الله تعالى لم يأمر

بان لا يسمع ولا يبصر ولا ياكل ولا يشرب على الاطلاق وانما امره
بان يستعمل الاية التي يسمع بها ويبصر ويأكل ويشرب في بعض الاشيا
ولا يستعملها في بعض فوجب ان يكون بين الامرين فرق ولا فرق
هاهنا الا انه ممكن من احد الامرين وجعلت له استطاعة عليه ولم
يمكن من الاخر وكذلك راوا حركة يد المفلوج بخلاف حركة يد الصحيح
فثبت ان بينهما فرق ولا فرق الا وجود الاستطاعة ووجدوا مع هذا
احاديث تؤيد بطلان قول الفريقين معا وتدل على ان الحق متوسط
بين غلو احد الفريقين وتقصير الاخر كنحو ما روي عن جعفر الطيار رضي
الله عنه قال اهل العباد مجبورون قال فالله اعدل من ان يجبر
عبده على معصية ثم يعذبه عليها فقال له السائل فهل امرهم مفوض
اليهم فقال الله اعز من ان يجوز في ملكه ما لا يريد فقال له السائل
فكيف ذلك اذا قال امر بين الامرين لا جبر ولا تفويض وكنحو ما روي
عن علي رضي الله عنه انه لما انصرف من صفين قام اليه شيخ
فقال يا امير المؤمنين ارأيت مسيرنا الى صفين لقضا وقدر فقال
علي والله ما علونا جبلا ولا هبطنا واديا ولا حططنا خطوة الا بقضا
وقدر فقال الشيخ فعند الله احتسب عنائي اذا مالي من اجر فقال له
علي مه يا شيخ فان هذا قول اوليا الشيطان وخصماء الرحمن
قدرية هذه الامة ان الله امر تخييرا ونهى تحذيرا لم يعص مغلوبا
ولم يطع مكرها فضحك الشيخ ونهض مسرورا ثم قال

انت الامام الذي نرجو بطاعته ● يوم القيمة من ذي العرش رضوانا
اوضحت من ديننا ما كان ملتبسا ● جزاك ربك عنا فيه احسانا

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه نحو مقالة جعفر فلما
وجدوا جميع هذا الذي ذكرناه جمعوا الايات والاحاديث وبنوا
بعضها على بعض فانتج لهم من مجموعها مقالة ثالثة سليمة من
شناعة المقالتين منتظمة لكل واحد من الطرفين ارتفعت عن تقصير
الجبرية وانحطت عن علو القدرية فوافقت قوله صلى الله عليه وسلم
دين الله بين الغالي والمقصر بنوا تفريعها على اصل حملوا الغرض منه
ان لله تعالى علم غيب سبق ما هو كائن قبل كونه ثم خلق الانسان وجعل
له عقلا يرشده واستطاعة يصح بها تكليفه ثم طوى علمه السابق
عن خلقه وامرهم ونهاهم واوجب عليهم الحجة من جهة الامر والنهي
الواقعين عليهم من جهة علمه السابق فيهم يتصرفون بين مطيع وعاص
وكلهم لا يعدو علم الله السابق فيهم فمن علم الله تعالى منه ان يختار
الطاعة فلا يجوز ان يختار المعصية ومن علم انه يختار المعصية
فلا يجوز ان يختار الطاعة ولو جاز ذلك لم يكن علم الله تعالى
موصوفا بالكمال ولكان كعلم المخلوق الذي يمكن ان يقع الامر كما علم
ويمكن ان يقع خلاف ما علم وليس في علم الله الامور قبل وقوعها
اجبار على ما توهمه المجبرون ولا نافع لاحد استطاعة على ما يهم به
من الامور الا بان يعينه الله عليه او يكله الى حوله وتسلمه
اليه فان عصمه فمنهم كان عدلا فاذا اعتبرت حالة العبد من جهة
الاضافة الى علم الله السابق فيه الذي لا يعدوه وجد في صورة
المجبور واذا اعتبرت حاله من جهة الاضافة الى الاستطاعة المخلوقة
به من المعصية كان فضلا وان وكله الى نفسه والامر والنهي له

الواقعين

الواقعين عليه وجد في صورة المفوض اليه وليس هناك اجبار
مطلق ولا تفويض مطلق انما هو امر بين امرين يدق عن افكار المعبرين
ويحير اذهان المتأملين وهذا هو معنى ما اشار اليه حذاق اهل السنة
من قولهم ان العبد لا مطلق ولا موثق فما ورد من الايات والاحاديث
التي ظاهرها الاجبار فهو مصروف الى احد ثلاثة اشياء اما الى العلم السابق
الذي لا مخرج للعبد ولا يمكنه ان يتخير غيره واما الى فعل فعله الله
تعالى به على جهة العقاب كقوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم واما
الى الاخبار عن قدرته تعالى على ما يشاء كقوله ولو شاء الله لجمعهم على الهدى
وما ورد من الايات والاحاديث ظاهره التفويض فهو مصروف الى
الامرين والنهي الواقعين عليه وانما غلطت القدرية في هذا الأفهم
لا يثبتون لله تعالى علما سابقا بالامور قبل وقوعها وعلم الله عندهم
محدث تعالى عما يقول الجاهلون وراى المشيخة وجملة العلماء الوقف
عن الكلام في ذلك والخوض فيه لقوله صلى الله عليه وسلم
اذا ذكر القضا فامسكوا فكان هذا المذهب احسن المذاهب
لمن اثر الخلاص والسلامة وهذه جملة قليلة تفصيلها كثير
وهو باب ضيق المجال جدا والخائض اليه تسبق اليه الظنة بغير
ما يعتقده فلذلك نتج من الكلام فيه باكثر مما بنينا عليه مع انا
لم نضع كتابنا هذا للخوض في المقالات انما وضعناه لتبيين المواضع
التي نشاء منها الخلاف ولكنا نقول ينبغي لمن طلب هذا الشان ولم يقنعه
ما رأه العلماء وامروا به من ترك الخوض فيه ان يراعي اصلين فان صحا
له من معتقده فليعلم انه قد اصاب فعل الحق وان اخطاهما او واحدا منهما

www.alukah.net

فليعلم انه قد غلط فليراجع النظر احدهما لا فاعل في الحقيقة الا الله
تعالى وان كل فاعل غيره انما يفعل بمعونة من عنده ومادة يمده بها
من فيضه وحوله ولو وكله الى نفسه لما كان له فعل البتة والثاني
ان افعال الباري تعالى كلها حكمة محضة لا عبث فيها وعدل
محض لا جور فيها وحسن محض لا قبح فيه وخير محض لا شر فيه وان
هذه الاشياء انما تعرض في افعالنا انما لوقوع الامر والنهي علينا
واما المركز في خلقتنا من القوة العقلية التي ترينا بعض الاشيا
حسنا وبعضها قبيحا وكلا الصفتين لا يوصف بهما الباري تعالى
لانه لا امر من فوقه ولا اناه وهو خالق العقل وموجده وجملة
ذلك ان لا يشبه شيئا من المخلوقات في جهة من الجهات فكل قول
ادى الى تشبيهه بخلقه في ذات او فعل فارفضه رفض الزاد وانبذه
نبذ الفذ لا واعلم بان الحق في غيره فابحث عنه حتى تظفر به وان لم
يتفق لك فهم الغرض منه والمراد فاشدد يديك بعروة هذا الاعتقاد
ولا تتهم ربك في حكمته ولا تنازعه في قدرته واعلم بانه غني عنك
وانت مفتقر اليه وواردة بما تزودت من عمله عليه تبارك المنفرد
بالقضية واحكامه الذي لا ينازع في نقضه وابرامه ولا يمتري العقل
في عدله ولا يبتئس المذنبون من عفوه وفضله لا رب سواه ولا معبود

بلغ مقابلة

حاشاه الباب الرابع في الخلاف العارض من جهة العموم
والخصوص هذا الباب نوعان احدهما ما يعرض في موضوع
اللفظة المفردة والثاني ما يعرض في التركيب فاما الذي يعرض في
موضوع اللفظة المفردة فنحو الانسان فانه يستعمل عموما وخصوصا

اما العموم

اما العموم فكقوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم
وقوله تعالى ان الانسان لفي خسر ويدل على انه لفظ عام لا يخص
واحدا دون اخر قوله تعالى الا الذين امنوا فاستثنى منه
ولا يستثنى الا من جملة ونحو هذا قول العرب اهلك الناس
الدينار والدرهم وقولهم الملك افضل من الانسان والانسان
منعبد دون سائر الحيوان والخصوص نحو قولهم حاني الانسان
الذي تعلم ولقيت الرجل الذي كلمك وقولهم شربت الماء واكلت
الخبز ولم يشرب جميع الماء ولا اكل جميع الخبز وهذا اكثر مشهور تغني
شهرته عن الاكثار منه وقد ياتي من هذا الباب في القرآن والحديث
اشياء يتفق الجميع على عمومها او خصوصها واشياء فيها الخلاف فمن
العموم الذي لم يختلف فيه قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم
ويا ايها الناس ان وعد الله حق وقول النبي صلى الله عليه
وسلم الزعيم غارم والبينة على المدعي واليمين على المدعى عليه
ونحو ذلك كثير ومن الخصوص الذي لم يختلف فيه قوله تعالى الذين
قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم وهذا القول لم يقله
جميع الناس انما قاله رجل واحد وهو نعيم بن مسعود ولا جمع
لهم جميع الناس انما جمع لهم جزء منهم وانما وقع فيه الخلاف فاحتاج
الى فضل نظر قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله قال قوم ان هذه الاية نزلت عموما ثم خصصت بقوله
صلى الله عليه وسلم صفح لامتي عما حدثت به نفوسها ما لم تكلم به
او تعمل وروى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت هي خصوص في الكافر

لعله تتكلم به

الألوكة
www.alukah.net

يحاسبه الله بما اسروا على والقول الاول اصح لقوله تعالى باثر
ذلك فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولا خلاف في ان الكافر
معذب غير مغفور له فدل على هذا على ان الخطاب وقع عموما لا خصوصا
ثم خصص بما ذكرناه ومن ذلك قوله تعالى كل له قانتون قال قوم هذا
خصوص في اهل الطاعة واحتجوا بان كل وان كانت في غالب امرها
للعموم قد تاتي للخصوص كقوله تعالى الى وجدت امراة تملكهم واوتيت
من كل شيء وقوله تعالى ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بامر ربها
ثم قال فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وقال اخرون هي عموم واختلف
القائلون بالعموم فقال قوم اراد انهم مطيعون له يوم القيمة وهذا
يروى عن ابن عباس وقال اخرون مطيعون في الدنيا
في الدنيا واختلف القائلون بالطاعة في الدنيا فقال بعضهم طاعة
الكافر سجود ظله لله واحتجوا بقوله عز وجل ولله يسجد من في
السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال
وقال اخرون معناه ان كل ما خلق الله تعالى فيه اثر الصفة
قائم ومسير للعبودية شاهد ان له خالقا حكيما لان اصل
الفنون في اللغة القيام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
وقد سئل اي الصلاة افضل فقال طول القنوت فالخلق كلهم مؤمنهم
وكافرهم قائمون بالعبودية اما اقرارا بالسنتهم واما باثار الصفة
البينة فيهم ومن هذا الباب قوله تبارك وتعالى لا اكراه في الدين
قال قوم هذا خصوص في اهل الكتاب لا يكرهون على الاسلام اذا
ادوا الجزية وهو قول الشعبي وكان ابن عباس رضي الله عنه يراه ايضا

خصوصا

خصوصا وفسره فقال معناه ان المراة من الانصار كانت لا يعيش لها
ولد فتنذر على نفسها ان عاش لتهودنه فلما اجلي بنو النضير اذا فيهم
ناس من ابناء الانصار فقال الانصار يا رسول الله ابناؤنا فانزل
الله تعالى هذه الاية وقال قوم هي عموم ثم نسخت بقوله تعالى جاهد
الكفار والمنافقين ومن هذا الباب قوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم
ذهب قوم الى انه خصوص واختلفوا في حقيقة ذلك فقال بعضهم
اراد ادم عليه السلام واحتجوا بقوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها
وقال بعضهم اراد محمدا صلى الله عليه وسلم واحتجوا بقوله عز وجل
وعلمك ما لم تكن تعلم وقال اخرون هي عموم في جميع الناس
وهو الصحيح ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن ياكل
في معاء واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء قال قوم هذا
خصوص في جهجاه الغفاري ورد على النبي صلى الله عليه وسلم
يريد الاسلام فحلبت له سبع شياه فشرب لبنها ثم
اسلم فحلبت له شاة فاكفته فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال هذه المقالة وقال قوم انه عموم في كل كافر واختلفوا
في حقيقة معناه فقال قوم معناه ان المؤمن يسمي الله تعالى
على طعامه فتكون فيه البركة والكافر بخلاف ذلك
وقال اخرون انما ضرب هذا مثلا للزهادة في الدنيا
والحرص عليها فجعل المؤمن لقناعته باليسير من الدنيا في معاء
واحد والكافر لشدة رغبته في الدنيا كالاكل في سبعة امعاء
وهذا القول اصح الاقوال ويشهد لصحته ما رواه ابو سعيد

www.alukah.net

الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أخاف
عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض فقال له رجل يا رسول الله هل
يأتي الخير بالشر فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا انه
يوحى الله ثم مسح العرق عن جبينه فقال اين السائل فقال ها انا يا رسول
الله فقال ان الخير لا يأتي الا بالخير ثلاثا ولكن هذا المال خضرة حلوة
وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم الا اكلة الخضر تاكل حتى اذا امتلأت
خاصرتاها استقبلت الشمس فاجترت وثلطت ثم عادت فاكلت ان هذا
المال خضرة حلوة من اخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو
ومن اخذه بغير حقه ووضعه في غير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع
ويخوض هذا ايضا قول ابي ذر تخضمون وتقضمون والموعد الله والخضم
الاكل بالفم كله فضربه مثلا للرغبة في الدنيا والقضم الاكل باطراف
الاسنان فضربه مثلا للقناعة ونيل البلغة من العيش وقيل الخضم اكل
الرطب والقضم اكل اليابس وهو نحو المعنى الاول وقد يأتي من هذا الباب
ما موضوعه في اللغة على العموم ثم تخصصه الشريعة كالمتعة فانها عند
العرب كل شيء استمتع به لا يخص به شيء دون شيء اخر ثم نقلت عن ذلك
واستعملت في الشريعة على ضربين احدهما المتعة التي كانت مباحة في اول
الاسلام ثم نهي عنها ونسخت بالنكاح والولي والثاني ما تمتع به المرأة
من مهرها ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ولاجل هذا الذي
ذكرناه وقع الخلاف في قوله تعالى فما استمتعتم به منهن فآتوهن
اجورهن فريضة فكان ابن عباس يذهب بمعناه الى المتعة الاولى
وذهب جماعة الفقها الى ان المتعة الاولى منسوخة وان هذه الاية كالتي

في البقرة وان معنى فآتوهن اجورهن انما اراد المهر والدليل على صحة قول الجماعة
قوله تعالى فانكحوهن باذن اهلهن واتوهن اجورهن فريضة فهذا المهر باجماع

الباب الخامس في الخلل العارض من جهة الرواية

هذا الباب لا تتم الفائدة التي
قصدناها منه الا بمعرفة العلل التي تعرض للحديث فتحيل معناه وربما اوهمت
فيه معارضة بعضه لبعض وربما ولدت فيه اشكالا تحوج العالم الى طلب
التاويل البعيد ونحن نذكر العلل كلها هي ونذكر من كل نوع منها مثالا او
امثلة يستدل بها على غيرها ان شاء الله تعالى اعلم ان الحديث المأثور
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه والتابعين لهم رضي الله عنهم
تعرض له ثماني علل اولها فساد الاسناد والثانية من جهة نقل الحديث
على معناه دون لفظه والثالثة من جهة الجهل بالاعراب والرابعة
من جهة التصحيف والخامسة من جهة اسقاط شيء من الحديث
لا يتم المعنى الا به والسادسة ان ينقل المحدث الحديث ويغفل نقل
السبب الموجب له او بساط الامر الذي جرى ذكره والسابعة ان يسمع
المحدث بعد الحديث بقوته سماع بعضه والثامنة نقل الحديث
من الصحف دون لقاء الشيوخ العلة الاولى وهي فساد الاسناد
وهذه العلة اشهر العلل عند الناس حتى ان كثيرا منهم يتوهم انه اذا
صح الاسناد صح الحديث وليس كذلك فانه قد يتفق رواة الحديث
مشهورين بالعدالة معروفين بصحة الدين والامانة غير مطعون
عليهم ولا مستراب بنقلهم ويعرض مع ذلك لاحاديثهم اعراض على
وجوه شتى من غير فضل منهم الى ذلك على ما نراه في بقية هذا
الباب ان شاء الله تعالى والاسناد يعرض له الفساد من اوجه

الألوكة
www.alukah.net

ومنها الارسال وعدم الاتصال ومنها ان يكون بعض رواته صاحب بدعة
او متهما بكذب وقلة ثقة او مشهورا بالغفلة وعدم الضبط او يكون متعصبا
لبعض الصحابة منحرفا عن بعضهم فان كان مشهورا بالتعصب ثم روى
حديثا في تفضيل من يتعصب له ولم يرد من غير طريقه لزم ان
يسترابَ به وذلك ان افراط عصبية الانسان لمن يتعصب
له وشيده محبته فيه يحمله على اقتعال الحديث واذا لم يفتعله
بدله وغير بعض حروفه كنحو ما فعلت الشيعة فانهم رَوَوا احاديث
كثيرة في تفضيل علي رضي الله عنه ووجوب الخلافة لم ينكره اهل
السنة مثل روايتهم ان نجما سقط على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال انظروا فمن منزل من وقع فهو الخليفة بعدي فنظروا
فاذا هو قد سقط في دار علي رضي الله عنه. فاكثر الناس من الكلام
في ذلك فانزل الله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى
فهذا حديث لا يشك ذو لب في انه مصنوع مركب على الآية وكالذي
فعلت المعتزلة فانهم تحاوروا تغيير الحديث الى ان راموا تغيير القرآن
فلم يصح لهم ذلك في القرآن لاجماع الامة عليه وصح في كثير من الحديث
فغيروا في الصحف في مواضع كثيرة كقراءتهم من شر ما خلق بالتنوين
وقراءتهم قال عذابي اصيب به من اساء بسين غير معجمة وفتح الهمزة
وقالوا في قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس المثقب
اذ معناه رفعنا وانشدوا قول المثقب
تقول اذا ذرأت لها وضيني هذا دينه ابدا ديني
وليس كما زعموا انما يقال في الدفع ذرأت بدال غير معجمة وكذلك روي

يثبت المثقب بدال غير معجمة وانما ذرانا بالذال معجمة بمعنى خلقنا وقد روى
عن بعضهم انه قرأ ولقد ذرانا بالذال غير معجمة ومما يبعث على الاسترابة بنقل
الناقل ان يعلم منه حرص على الدنيا وتهافت على الاتصال بالملوك ونيل المكانة
والحظوة عندهم فان من كان بهذه الصفة لم يؤمن عليه التغيير والتبديل
والافتعال للحديث والكذب حرصا على ما يكسب يحصل عليه كالذي
ولست وان قربت يوما ببابه ... خلافي لا ديني ابتغال التحبب
ويعتمده قوم كثير تجارة ... ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي
وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو هذا الذي بيناه بقوله ان الاحاديث
ستكثر بعدي كما كثرت عن الانبياء قبلي فما جاءكم عني فاعرضوه
على كتاب الله تعالى فما وافق كتاب الله فهو عني قلته او لم اقله وقد روى ان
قوما من الفرس واليهود وغيرهم لما رأوا الاسلام قد ظهر وعم
وطبق
جميع الامم، ورأوا انه لا سبيل الى مناصبته رجعوا الى الحيلة والمكيدة
فاظهروا الاسلام من غير رغبة فيه واخذوا انفسهم بالتعبد والتقشف
فلما حمد الناس طرائقهم ولدوا الاحاديث والمقالات وفرقوا الناس فرقا
واكثر ذلك في الشيعة كما يحكى عن عبد الله ابن سبا اليهودي انه اسلم
واتصل بعلي وصار من شيعته فلما اخبر بمقتله وموته قال كذبتم والله
ولو جيئتمونا بدماغه مصورا في سبعين صرة ما صدقنا بموته ولا يموت
حتى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا نجد ذلك في كتاب الله تعالى فصارت
مقالة يعرف اهلها بالسبائية ويقال انه قال عليا هو الله وانه يجيء
الموتى وانما غاب ولم يمت واذا كان عمر رضي الله عنه يتشدد في الحديث
ويتوعد عليه والزمان زمان والصحابة متوافرون والبدع لم تظهر

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والناس في العرف الذي اثنى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاظنك بالحال في الازمنة
التي ذمها وقد كثرت البلوى وقلت الامانة والبخاري رحمه الله في هذا الباب عنا مشكور
وسعيه مبرور وكذلك لمسلم وابن معين فانهم انتقدوا الحديث وحرروه
ونبهوا على ضعفاء المحدثين والمتهمين بالكذب حتى ضج من ذلك من
كان في عصرهم وكان ذلك احد الاسباب التي اوغرت صدور الفقها على
البخاري فلم يزالوا يصيدون له المكاره حتى امكنتهم فيه فرصته بكلمة قالها
فكفروه وامتحنوه وطردوه من موضع الى موضع وحتى حمل بعض الناس قلة تمن
ذلك على ان قال ولابن معين في الرجال مقالة سئل عنها والمليك شهيد
فاذيك حقا فهو غيبة وان يك زورا فالعقاب شديد
وما اخلق قائل هذا الشعر بان يكون دفع مغرما واسترجع في ارتقا لان ابن معين
فيما فعل اجدر بان يكون ماجورا من ان يكون مغرورا وان لم يكن في ذلك
ملوما بل مشكورا العلة الثانية وهي نقل الحديث على المعنى دون لفظ المحدث
بعينه وهذا الباب يعظم الغلط فيه جدا وقد نشات منه بين الناس شغوب
وشنيعة وذلك ان اكثر المحدثين لا يراعون الفاظ النبي صلى الله عليه وسلم
التي نطق بها وانما ينقلون الى من بعدهم معنى ما اراده بالفاظ اخر ولذلك
تجد الحديث الواحد في المعنى الواحد يسرد بالفاظ شتى واحاديث مختلفة يزيد
بعضها على بعض وينقص بعضها عن بعض على ان اختلاف الفاظ الحديث
قد تعرض من اجل تكرر النبي صلى الله عليه وسلم في مجالس عدة مختلفة
وما كان من الحديث بهذه الصفة فليس كلا منافيه وانما كلامنا في
اختلاف الالفاظ الذي يعرض من اجل نقل الحديث على المعنى ووجه الغلط
الواقع من هذه الجهة ان الناس يتفاضلون في صدورهم وافهامهم

وغير ذلك من امورهم واحوالهم فربما اتفق ان يسمع الراوي الحديث من النبي صلى الله
عليه وسلم او من غيره فيتصور معناه في نفسه على غير الجهة التي اراده فاذا
عبر عن ذلك المعنى الذي تصوره في نفسه بالفاظ اخر كان قد حدث بخلاف ما سمع
من غير قصد منه الى ذلك وذلك ان الكلام الواحد قد يحتمل معنيين وثلاثة وقد
تكون فيه اللفظة المشتركة التي تقع على الشيء وضده كقوله صلى الله عليه وسلم
قصوا الشوارب واعفوا اللحى فقوله واعفوا يحتمل ان يريد به كثروا ووفروا
ويحتمل ان يريد قللوا وخففوا فلا يفهم مراده من ذلك الا بدليل من حديث
اخر فالمعنيان جميعا موجودان في كلام العرب يقال عفا وبر الناقة اذا كثر
وكذا عفا لحمها قال الله عز وجل حتى عفوا وقال جرير
ونكافئ فضل السيف عنها باسوق عافيات اللحم كوم
ويقال عفا المنزل اذا درس قال زهير عفا من ال فاطمة الجواء فمثل هذا
يجوز ان يذهب النبي صلى الله عليه وسلم الى المعنى الواحد ويذهب الراوي عنه
الى المعنى الاخر فاذا ادى معنى ما سمع دون لفظه بعينه كان قد روى عنه
ضد ما اراده غير عامد ولو ادى لفظه بعينه لا وشك ان يفهم منه الاخر
مالم يفهم الاول وقد علم صلى الله عليه وسلم ان هذا سيعرض بعده فقال محذرا
من ذلك نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها واداها كما سمعها فرب مبلغ اوعى من
سامع ونحو ما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاءه فقال ايجوز ان تاتي
المرأة في دبرها فقال نعم فلما ادبر الرجل قال ردوه علي فلما رجع قال في ايما الخرطتين
اردت اما من دبرها في قبلها فنعم واما من دبرها فلا وقد غلط قوم في حديث
عايشة رضي الله عنها في هذا المعنى اذا حاضت المرأة حرم الجحران فقوهما
ان هذا الكلام ينفك منه جواز الاتيان في الدبر وهذا غلط شديد ممن

www.alukah.net

تأوله وقد رواه بعضهم الحجران بضم الحاء ونون وزعم ان الحجران الفرج ذكر ذلك بن قتيبة والرواية الأولى هي المشهورة وليس في الحديث شيء مما توهموه وانما كان يلزم ما قالوه لو كانت الطهارة من الحيض شرطا في جواز اتيان المرأة في فرجها معا فكان يلزم عند ذلك ان يكون ارتفاع الطهارة سببا لتحريمها معا كما كان شرطا في تحليلها معا فاذا لم يجد واسببلا الى تصحيح هذه الدعوى لم يلزم ما قالوه وانما المعنى في حديث عائشة رضي الله عنها ان فرج المرأة يخالف دبرها في اباحة احدهما وتحريم الاخر والاباحة التي خالفت بينهما معلقة بشرط الطهارة من الحيض فاذا ارتفع شرط الطهارة ارتفعت الاباحة التي كانت معلقة فاستويا معا في التحريم لارتفاع السبب الذي فرق بينهما وهذا قول قايل لو قال اذا اسكر النبيذ حرم الشرابان يريد الخمر والنبيذ اي استويا في التحريم لأن النبيذ انما خالف الخمر بشرط عدم الاسكار فلما ذهب السبب والشرط الذي فرق بينهما تساويا معا فكما ان بهذا القول لا يلزم منه اباحة الخمر قبل وجود الاسكار في النبيذ فكذلك قول عائشة رضي الله عنها لا يلزم من اباحة نكاح الدبر قبل وجود الحيض في الفرج ونظير هذا ايضا ان رجلا لو كان معه ثوبان احدهما فيه نجاسة تحرم عليه الصلاة به والآخر طاهر يجوز له الصلاة به ثم اصابت الثاني نجاسة فقال له قايل قد حرمت عليك الصلاة بالثوبين انما المراد ان الثوب الثاني قد صار مثل الأول في التحريم لعدم الشرط الفرق بينهما وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما يشبه نحو هذا وان لم يكن مثله من جميع الوجوه وذلك ما روي عنه من قوله من شره ان يذهب كثير من وحر صدره فليصم شهر الصبر وثلاثة ايام من كل شهر يريد بشهر الصبر رمضان وليس المراد ان شهر الصبر مباح الاكل فيه لمن لم يبره ذهاب وحر صدره وانما معناه فليضف الى شهر الصبر الواجب صومه على كل حال ثلاثة

ايام يصومها من كل شهر ومن طريق الغلط الواقع في اشتراك الالفاظ ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم وهب لعلي عمامة تسمى السحاب فاجتاز على متحمليها فقال عليه السلام لمن كان معه اما ترحمون عليا في السحاب ونحو هذا من اللفظ فتوهم بعض المشيعين لعلي فظن انه يريد السحاب المعروفة فكان ذلك سببا لاعتقاد الشيعة ان عليا في السحاب ولذلك قال اسحاق بن سويد الفقيه

برئت من الخوارج لست منهم ... من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا ... يرددون السلام على السحاب
ولكني احب بكل قلبي ... فاعلم ان ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا ... به ارجو غدا حسن الثواب

وقد جعل بعض العلماء من هذا الباب الحديث المروي في خلق ادم على سورة الرحمن قالوا وانما قال صلى الله عليه وسلم خلق الله ادم على صورته والها راجعة الى ادم فتوهم بعض السامعين انها عائدة على الله عز وجل فنقله على المعنى دون اللفظ وهذا الذي قالوه لا يلزم وسنتكلم على هذا الحديث اذا اتينا الى موضعه من هذا الباب بغية ان شاء الله تعالى العلة الثالثة وهي الجهل بالاعراب ومباني كلام العرب ومجازاتها وذلك ان كثيرا من رواة الحديث وقوم جهال باللسان العربي لا يفرقون بين المرفوع والمنصوب والمخفوض ولعمري ان العرب وضعت لكل معنى لفظا يؤدى عنه لا يلتبس بغيره لكان لهم عذر في ترك تعلم الاعراب ولم يكن لهم حاجة اليه في معرفة الخطاء من الصواب ولكن العرب قد تفرق بين المعنيين المتضادين بالحركات فقط واللفظ واحد الا ترى الفاعل والمفعول ليس بينهما اكثر من الرفع والنصب فربما احدث المحدث فرفع لفظة منه ينوي بها انها فاعلة

ونصب اخرى بنوى مفعولة فتقل السامع ذلك الحديث ورفع ما نصب ونصب ما رفع
جهلا منه بما بين الامرين فانعكس المعنى الى ضد ما اراده المحدث الاول الا ترى الى قوله صلى
الله عليه وسلم لا يقتل قرشي صبرا بعد اليوم اذا جزمت اللام من يقتل كان له معنى
فاذا رفعت كان له معنى اخر ولو ان قارئا قرأ هؤلاء اول هؤلاء اخر بفتح الخاء لكان قد كفر واشرك
بالله تعالى واذا كسر الخاء امن ووحد فليس بين الايمان والكفر غير حركة ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ اصلح من لسانه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا
الفرائض والسنة واللحن كما تعلمون القرآن واللحن اللغة قال الشاعر

وما هاج هذا الشوق الا حمامة ∴ تبكت على خضر السمر قيودها ∴
صدوح الضحى معروفة اللحن لم تزل ∴ تعود الهوى من مسمع ويعودها ∴

وكذلك قوله هو الله الخالق البارئ المصور ليس بين الايمان والكفر فيه غير
فتح الواو وكسرها وكذلك قوله ويل للمكذبين ولوان رجلين تقدما الى حكم فيدعى
احدهما على صاحبه بثوب فقرره الحاكم على ذلك فانه ان قال ما اخذت له ثوبا
فرفع اقر بالثوب على نفسه ولزمه احضاره ولو انه قال ما اخذت له ثوبا فنصب
لم يقر بشيء ولزمته اليمين ان لم تقم عليه به بينة وكذلك لو قال لرجل لامرأته
انت طالق ان دخلت الدار فانه ان فتح الهمزة طلقت عليه من ذلك الوقت
دون تاخير وان كسر الهمزة لم تطلق عليه في ذلك الوقت وانما تطلق عليه فيما
يستقبل ان كان منها دخول الدار ويروى ان الكسائي كتب اليه ما تقول في رجل قال
فان تطلقي يا هند فالرفق اين ∴ وان تخرقي يا هند فالخرق اشأم ∴
كانت طلاق والطلاق عزيمة ∴ ثلاثا ومن يخرق اعق واظلم
فقال له الكسائي ان كان رفع العزيمة ونصب الثلاث فهي ثلاث تطليقات
وان كان نصب العزيمة ورفع الثلاث فهي واحدة يريد انه اذا رفع العزيمة

ذكر صاحب نور القمر في شرح
الدرر انه قرئ شاذا بفتح
الواو من الصور ونصب الراء
على انه مفعول للبارئ وكذلك
قولنا عياذا بالله اتخذ وليا فاطر
السموات والارض وهو يطعم
ولا يطعم وقرأ ابن قراشا بن
الاول للجمهور على ان ضير وهو عليه
على الولي اي كيف اتخذ غير الله
وليا وهذا لا يمكن ان يطعم نفسه

نجيب الدين الاديب الفاضل الزاهد المقرئ
الصوفي قدس الله روحه
يذكرها ويستحب الجمع فيهما فالرفع
الواو واقفا بخلف الفتحة لم يكرهم
ان وصل ضما ما الراء كفران فضه
مدرس

ونصب الثلاث صار التقدير فانت طالق واتم الكلام ثم قال والطلاق
في حال عزيمة المطلق عليه ثلاث فيقضي عليه بواحدة وقد يمكن ايضا ان يرفع
الثلاث والعزيمة معا فيكون التقدير فانت طالق ثلاث والطلاق عزيمة فيلزم
من ذلك ثلاث تطليقات العلة الرابعة وهو التصحيف وهذا ايضا باب عظيم
الفساد في الحديث جدا وذلك ان كثيرا من المحدثين لا يضبطون الحروف
لكنهم يرسلونها ارسالا غير مقيدة ولا متفقدة اتكالا على الحفظ فاذا اغفل
المحدث عما كتب مدة من زمانه ثم احتاج الى قراءة ما كتب او قراءة غيره فربما
رفع المنصوب ونصب المرفوع كما قلنا فانقلبت المعاني الى اضدادها وربما
تصحفه الحرف بحرف لخرق عدم الضبط فيه فانعكس المعنى الى نقيض المراد
وذلك ان هذا الخط العربي شديد الاشتباه وربما لم يكن بين المعنيين
المتضادين غير الحركة او النقطة كقولهم مكرم بكسر الراء اذا كان فاعلا
ومكرم بفتح الراء اذا كان مفعولا ورجل افرع بالغا اذا كان تام الشعر واقرع
بالقاف لا شعر في رأسه وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
افرع وقد جاء في هذا الباب اشياء ظريفة عن المحدثين نحو ما يروى عن يزيد
ابن هارون انه روى كاجلوسا حول بشر ابن معاوية وانما هو سرير
معاوية وكما روى عبد الرزاق تفاتلون خوركرمان وانما هو خوز بالزاي
المعجمة وكما صحف شعبة الثلب العنبري فرواه بثاء مثلثة وانما هو الثلب
بالثاء المعجمة باثنتين وكسر الثاء واللام وتشديد الباء على وزن طمر وبيدل
" " " " " " " " " " " " عليه قول الشاعر

ان الثلب له عرس بمانيه ∴ كان قسورة في البيت اعصار
وروى بعضهم خلت الجنة فرايت فيها حبائل اللؤلؤ والاوجه الحبائل

الألوكة
www.alukah.net

هنا الان الحبايل عند العرب الشباك التي تصاد بها الحوش واحدتها حبالة
ومن كلام العرب خشن ذواله بالحبالة وانما هو جنابذ اللؤلؤ والجنابذ جمع
جنبذة وهي القبة وهذا النوع كثير جدا وقد وضع فيه الدارقطني كتابا
مشهورا سماه تصحيف الحفاظ ومن طريق ما وقع منه في كتاب مسلم وسنده
الصحيح نحن يعم القيامة على كذا انظر وهذا شيئ لا يتحصل له معنى وهكذا
تجده في اكثر النسخ وانما هو نحن يوم القيامة على كوم والكوم جمع كومة وهو
المكان المشرف فصحفه بعض النقلة فكتب نحن يوم القيامة على كذا فقراءه
من قراه فلم يفهم ما هو فكتب في طرة الكتاب انظر يا مقارئ الكتاب بالنظر
فيه فوجدوه ثالث قطعة من الكتاب فالحقوه بمتنه العلة الخامسة وهي
اسقاط شئ من الحديث لا يتم المعنى الا به وهذا النوع ايضا قد وردت منه
اشياء كثيرة في الحديث كنحو ما رواه قوم عن ابن مسعود انه سئل عن ليلة
الجن فقال ما شهدها منا احد وروى من طريق اخر انه راى قوم من الرط
فقال هؤلاء اشبه من رايت بالجن ليلة الجن فهذا الحديث يدل على انه
شهدها والاول يدل على انه لم يشهدها فالحديثان كما ترى متعارضان وانما
اوجب التعارض بينهما ان الذي روى الحديث الاول اسقط منه كلمة
رواها غيره وانما الحديث ما شهدها منا احد غيري العلة السادسة
وهي ان ينقل المحدث الحديث ويغفل نقل السبب الموجب له فيعرض من
ذلك اشكال في الحديث او معارضة لحديث اخر كنحو ما رواه قوم من ان
النبي صلى الله عليه وسلم اتى بالعرنيين الذين ارتدوا عن الاسلام واغاروا على
نعاجه فامر بقطع ايديهم وارجلهم وسمل عيونهم وتركوا بالحرة يستسقون
فلا يسقون حتى ماتوا وقد وردت عنه الروايات من طرق شتى انه

نهى عن المثلة وانما عرض هذا التعارض من اجل ان الذي روى الحديث الاول
اغفل نقل سببه الذي اوجبه ورواه غيره فقال انما فعل بهم ذلك لانهم
مثلوا برعاءه فجازاهم بمثل فعلهم ومن الفقهاء من يرى ان هذا كان في اول
الاسلام قبل ان تنزل الحدود ثم نسخ وقد ذهب بعض العلماء في قوله صلى
الله عليه وسلم ان الله خلق ادم على صورته الى انه مما اغفل الناقل ذكر السبب
الذي قاله من اجله وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يلطم وجه
عبده وهو يقول قبح الله وجهك ووجه من اشبهك فقال صلى الله عليه
وسلم اذا ضرب احدكم عبده فليتق الوجه فان الله خلق ادم على صورته
قالوا فالها انما تعود على العبد فلما روى الراوي الحديث واغفل رواية
السبب اوهم ظاهره انها تعود على الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
وهذا الذي قالوه وروده غير معترض على رواية غيرهم من وجهين
احدهما انه قد جاء في حديث اخر خلق ادم على صورة الرحمن وجاء في حديث
اخر رايت ربي في احسن صورة وهذا لا يسوغ معه شئ من الذي قالوه
والثاني ان الحديث له تاويل صحيح بخلاف ما ظنوه وقد تكلم فيه
ابن قتيبة فلم يات فيه بمقنع وقد تكلم فيه ابن فورك فاحسن كل
الاحسان ونحن نذكر ما قال باوجز ما يمكن ونزيد ما يتمم ذلك
بحول الله تعالى فنقول ان الضمير في قوله على صورته يجوز ان يكون
عايدا على ادم ويجوز ان يكون على الله تعالى فاذا كان عائدا على
ادم فالغرض من الحديث الرد على الدهرية واليهود والقدرية وهذا
من جوامع كلمه التي اوتيها صلى الله عليه وسلم فوجه الرد منه على الدهرية
من وجهين احدهما ان الدهرية قالت ان الدهر لاول له ولا اخر وانه

نسخة الألوكة www.alukah.net

لا يجوز ان يكون حيوانا الا من صورة حيوان اخر قبله فاعلمنا صلى الله
عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته التي تشوهد عليها ابدا من غير ان
يكون في رحم كما يكون الجنين علقة ثم مضغة حتى يتم خلقه
والثاني ان الدهرية تزعم ان للطبيعة والنفس الكلية فعلا في المحدثات
المتكونة غير فعل الله تعالى الله عن قولهم فاعلمنا ايضا ان الله خلقه
على هيئته التي كان عليها وانفرد بذلك دون مشاركة من طبيعة ولا
نفس ووجه الرد منه على اليهود ان اليهود كانوا يزعمون ان ادم في الدنيا
كان على خلاف صورته في الجنة وان الله تعالى لما اهبطه من الجنة نقص
قامته وغير خلقته فاعلمنا بكذبهم فيما يزعمون واعلمنا انه خلقه على صورته
التي كان عليها عند هبوطه ووجه الرد على القدرية ان القدرية قالت
ان افعال البشر مخلوقة لهم لا لله تعالى عن قولهم وهو نحو ما ذهبت
اليه الدهرية من ان للنفس الطبيعية افعالا غير فعل الله فاعلمنا ايضا
بطلان قولهم واعلمنا ان الله خلقه وخلق جميع افعاله فهذا ما في الهامش من القول
اذا كانت راجعة الى ادم عليه السلام واذا كانت عايدة على الله تعالى
كانت اضافة صورة ادم اليه على وجه التشريف والتسوية والتخصيص
لا على معنى اخر مما تسبق الى الوهم من معاني الاضافات فيكون كقولهم في
الكعبة انها بيت الله وقد علمنا ان البيوت كلها لله وكقوله
وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقد علمنا ان جميع البشر
من مؤمن وكافر عباده وانما خصصه بالاضافة الى الله تعالى دون
غيره لان الله تعالى شرفه بما لم يشرف به غيره وذلك انه عز وجل
شرف الحيوان على الجماد وشرف الانسان على جميع الحيوان وشرف الانبياء على

جميع نوع الانسان وشرف ادم على جميع بنيه بان خلقه دفعة من غير ذكر
ولا انثى ودون ان ينتقل من النطفة الى العلقة ومن العلقة الى المضغة
وسائر الاحوال التي يتصرف فيها الجنين كماله ونسب خلقة الى نفسه دون
سائر البشر فقال لما خلقت بيدي ونفخت فيه من روحي واسجد له
ملائكته ولم يامرهم بالسجود لغيره فنبهنا عليه باضافة صورته الى
الله تعالى على هذه المنزلة التي تفرد بها دون غيره وبذلك على صحة هذا
التاويل قوله ونفخت فيه من روحي وقوله ولا اعلم ما في نفسك وقوله
لما خلقت بيدي فكما لا تدل اضافة هذه الاشياء على ان لله نفسا وروحا
ويدين فكذلك اضافة الصورة اليه لا تدخل على ان له صورة وقد يجوز
في اضافة الصورة الى الله تعالى وجه فيه غموض ودقة وذلك ان العرب تستعمل
الصورة على وجهين احدهما التي تكون هي شكل مختلط محدود بالجهات
التي كقولك صورة زيد وصورة عمرو والثاني يريدون به صفة الشيء
التي لا تشكل له بحس ولا تخطيط ولا جهة محدودة كقولك ما صورة امرك
ونحو كانت صورة قصتك يريدون بذلك الصفة فقد يجوز ان يكون معنى
خلق الله ادم على صورته اي على صفته فيكون مصروفا الى المعنى الثاني الذي
لا تحديد فيه فان قلت فما معنى هذه الصفة وكيف تلخيص القول فيها
فالجواب ان معنى ذلك ان الله جعله خليفة في ارضه وجعل له عقلا
يعلم به ويفكر ويوسوس ويدبر ويامر وينهى وسلطه على جميع ما في البر
والبحر وسخر له ما في السموات والارض وقد قال " " " " " " " "
في نحو هذا بعض المحدثين يمدح بعض خلفا بني امية
امره من امر من ملكه فاذا ما شاء عافا وابتلى

www.alukah.net

فيكون معنى قولنا في آدم انه خلق على صورة الله كمعنى قولنا فيه انه خليفة الله وهذه التاويلات كلها لا تقتضي تشبيها ولا تحديدا فان قلت كيف تصنع بالحديث المروي عنه صلى الله عليه وسلم رايت ربي في احسن صورة وهذا لا يمكنك فيه شيء من التاويل المتقدم ولا يصح لك حمله عليه فالجواب ان هذا الحديث ورد بلفظ مشترك يحتمل معنيين احدهما ان يكون قوله في احسن صورة راجعا الى الرائي لا الى المرئي معناه رايت ربي وانا في احسن صورة والثاني ان يكون قوله في احسن صورة راجعا الى المرئي وهو الله تعالى فيكون معناه رايت ربي على احسن صفة فتكون الصورة بمعنى الصفة التي لا توجب تحديدا كما ذكرنا وهذا في العربية كقولك رايت زيدا في الدار فيجوز ان يكون قولك في الدار راجعا اليك كانك قلت رايت زيدا وانا في الدار ويجوز ان يكون المعنى رايت زيدا وهو في الدار وعلى هذا تقول رايت زيدا قاعدا قائما ولقيت زيدا راكبين قال الشاعر

فلين رايتك خاليين لتعلمن ... اني وايك فارس الاضراب

واذا كان التقدير رايت ربي وانا في احسن صورة كان معناه ان الله تعالى حسن صورته ونقله الى صفة يمكن معها رؤيته اذ كانت البشر لا يمكنهم رؤية الله تعالى على الصورة التي هو عليها حتى ينتقلوا الى صورة اخرى غير صورهم الا ترى ان المؤمنين يرون الله تعالى في الآخرة ولا يرونه في الدنيا لان الله تعالى نقلهم في من صفاتهم التي صفات اخرى اعلى واشرف فجعل الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم هذه الكرامة قبل يوم القيامة خصوصا دون البشر حتى راه وشاهده والله يؤتي فضله من يشاء ويخص بكرامته من يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون واذا كان ذلك راجعا الى الله تعالى كان

معناه

معناه انه راى ربه على احسن ما عوده من انعامه واحسانه واكرامه وامتنانه كما تقول للرجل كيف كانت صورة امرك عند لقاء الملك فيقول خير صورة اعطاني وانعم علي وادناني من محل كرامته واحسن الي فهذان تاويلان صحيحان خارجان على اساليب كلام العرب دون تكلف ولا خروج من مستعمل الى تعسف وقد جاء في بعض الحديث انها كانت رؤية في النوم فاذا كان الامر كذلك كان التاويل واضحا لانه لا تنكر رؤية الله في النوم وبالله التوفيق العلة السابعة وهي ان يسمع بعض الحديث ويفوته سماع بعضه كنحو ما روى ان عائشة رضي الله عنها اخبرت ان ابا هريرة حدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان يكن الشوم في ثلاث الدار والمرأة والفرس وهذا الحديث معارض لقوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا هامة ولا صفر ولا غول وقد روت عنه احاديث كثيرة انه نهى عن التطير فغضبت عائشة وقالت بالله ما قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وانما قال كان اهل الجاهلية يقولون ان يكن الشوم في ثلاث الدار والمرأة والفرس قد حفظ ابو هريرة فسمع اخر الحديث ولم يسمع اوله وهذا غير منكر ان يعرض لبعض لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر في مجالسه الاخبار حكاية وينكلم بالامر يريد به امرا او نهيا او ان يجعله اصلا في دينه وشيئا يسن به وذلك معلوم من فعله ومشهور من قوله العلة الثامنة وهي نقل الحديث من الصحف دون لقاء الشيوخ والسماع من الائمة وهذا الباب عظيم البلية والضرر في الدين فان كثيرا من الناس يتساهلون فيه جدا واكثرهم انما يقوله على اجازة الشيخ له دون لقائه والضبط عليه ثم ياخذ

قال بعض العلماء وهذا رد منها الكتب رواته ثقات ولما ذكر تقاضا ابو بكر انه لم يرد ما روى عنها قال لم اقل شاقط لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل لم يعبر عنه لكن ما كانوا يعتقدونه وانما بعث ليعلم لكن بالوحي قال وفائدة هذا الحفظ حصر الشوم فيما عادة لا خلقة

الشبكة الألوكة www.alukah.net

بعد ذلك عليه من الصحف المسودة والكتب التي لا تعلم صحتها من سقمها وربما كانت مخالفة لرواية شيخه فيصحف الحروف ويبدل الالفاظ وينسب جميع ذلك الى شيخه ظالما لماله وقد صار علم اكثر الناس في زماننا هذا على هذه الصفة ليس بايديهم من العلم غير اسماء الكتب وانما ذكرت لك هذه العلل العارضة للحديث لانها اصول لنقاد الحديث الممتازين بمعرفة صحيحه من سقيمه فاذا ورد عليهم حديث بشع المسموع ٨ او مخالف للمشهور نظروا اولا في سنده فان وجدوا في ناقليه ورواته رجلا متهما ببعض تلك الوجوه التي ذكرتها لك استرابوا به ولم يجعلوه اصلا يعول عليه وان وجدوا رجاله الناقلين له ثقات مشهورين بالعدالة معروفين بالفقه والامانة رجعوا الى التاويل والنظر فان وجدوا له تاويلا يحمل عليه قبلوه ولم ينكروه واذا لم يجدوا له تاويلا حملا على استكراه نسبوه الى غلط وقع فيه من تلك الوجوه المتقدمة الذكر فهذه جملة القول في هذا الباب وبالله التوفيق

الباب السادس في الخلاف العارض من قبل الاجتهاد والقياس هذا النوع انما يكون فيما يعدم فيه وجود نص من قرآن او حديث فيفزع الفقيه عند ذلك الى القياس والنظر كما قال الشاعر

اذا اعيا الفقيه وجود نص ٨ تعلق لامحالة بالقياس ٨

والخلاف العارض من هذا الموضع نوعان احدهما الخلاف الواقع بين المنكرين للاجتهاد والقياس والمثبتين له والنوع الثاني خلاف يعرض بين اصحاب القياس في قياسهم كاختلاف المالكية والشافعية والحنفية فتتفرع من ذلك انواع من الخلاف عظيمة وهذا الباب اشهر من ان نطيل

القول فيه الباب السابع في الخلاف العارض من قبل النسخ الخلاف العارض من هذا النوع ينقسم اولا الى نوعين احدهما خلاف يعرض بين من انكر النسخ وبين من اثبته واثباته هو الصحيح وجميع اهل السنة مثبتون له وانما خالف في ذلك من لا يلتفت الى خلافه لانه بمنزلة دفع الضروريات وانكار العيان والنوع الثاني خلاف عارض بين القائلين بالنسخ وهذا النوع الثاني ينقسم ثلاثة اقسام احدها اختلافهم في الاخبار هل يجوز فيها النسخ كما يجوز في الامر والنهي ام لا والثاني اختلافهم هل يجوز ان تنسخ السنة القرآن ام لا والثالث اختلافهم في اشياء من القرآن والحديث فذهب بعضهم الى انها نسخت وبعضهم الى انها لم تنسخ الباب الثامن في الخلاف العارض من قبل الاباحة هذا النوع من الخلاف يعرض من قبل اشياء اوسع الله تعالى فيها على عباده واباحها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم كاختلاف الناس في الاذان والتكبير على الجنائز وتكبير التشريق ووجوه القرآت السبع ونحو ذلك فهذه اسباب الخلاف الواقع بين الامة قد نبهت عليها وارشدت قارئ كتابي هذا اليها وهذا الكتاب وان كان صغير الحجم يسير الحجم فان فيه تنبيهات على اشياء جليلة يحسن سمعها ويجلو من نفس الذكي مرقمها بصقالها وانا استغفر الله من ذلل ان كان عرض وسأله عونا على ما تعبد به وفرض وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

وقع الفراغ من كتابته يوم الجمعة المبارك لاربعة ايام خلت من شهر محرم الحرام افتتاح عام ١٢٠٧ سنة الف ومائتين وسبعة من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية في ٤ شهر محرم سنة ١٢٠٧

تم بحمد الله وعونه

٩ لعله وقرها

بلغ معارضته على قدر الطاقة والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

www.alukah.net